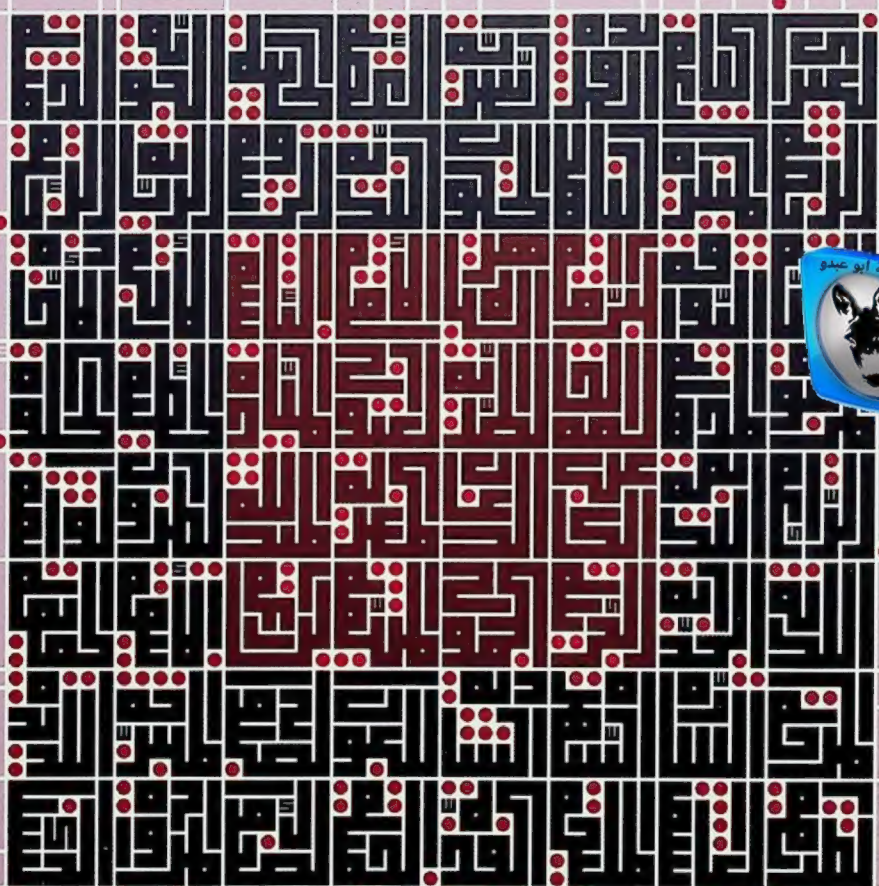




مكتبة الجنس في حياة العرب

سيفنا حمة

تأليف: جورج كندر



أبو عبدو البغل

مكتبة الجنس في حياة العرب

سقيفة حبي

جورج كدر

سقيفة حُبِّي



مكتبة الجنس في حياة العرب

سقيفة حبي

تأليف: جورج كدر

الإخراج الفني: فايز علام

تصميم الغلاف: منير الشعراني

الطبعة الأولى - 2011

ISBN: 978-9933-9086-4-5

جميع الحقوق محفوظة للناشر. لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب، أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله، على أي نحو، أو بأية طريقة سواء أكانت إلكترونية، أم ميكانيكية، أو بالتصوير، أو بالتسجيل، أو خلاف ذلك إلا بموافقة كتابية مسبقة من الناشر ومقديماً.

الناشر:

أطلس للنشر والإنتاج الثقافي ش.م.م.
الحمرا - الشارع الرئيسي - بناء الميزان -
ط4 - ص.ب: 11452 بيروت، لبنان
هاتف: + 961 1 739328
فاكس: + 961 1 739327
بريد إلكتروني:
atlasbooks@gmail.com

التوزيع:

الفرات للنشر والتوزيع
شارع الحمرا - بناء رسامي
ص.ب: 6435 / 113 بيروت - لبنان
هاتف: + 961 1 750054
فاكس: + 961 1 750053
بريد إلكتروني:
aflurat@aflurat.com
التوزيع عبر الإنترنت:
www.aflurat.com

وكانت نساء المدينة تسمين حُبى «حواء أم البشر»
لأنها علمتهن ضرورياً من هيئات الجماع، ولقبت
كل هيئة منها بلقب، منها: القبع والغريلة والنخير والرهز.
(الجاحظ، النيسابوري، الزمخشري، أبو هلال العسكري)

مقدمة

من هي حُبِّي المدينة؟ هل هي امرأة حقيقية أم من نسج خيال الرواة؟ وإذا كانت شخصية تاريخية فما هو الدور الذي لعبته في مجتمع المدينة/ يثرب؟.

تُحدثنا كتب الأمثال وبعض كتب الأدب في التراث الإسلامي، عن امرأة كانت تُرضع كل طفل جديد يولد في المدينة، فاستحقت أن تلقب بـ «جِواء أم البشر». بعض مؤرخي المدينة قالوا: إنها مرضعة الخليفة عمر بن الخطاب، وقالوا: إن أشرف المدينة كان يجتمعون في سقفة حُبِّي يسألونها وهي تجيب، وقالوا¹: إن فتيان قريش وفتياتها كانوا يجلسون إليها فيتحدثون عندها بكل صراحة وشفافية عن أحوال الرجال والنساء وفنون النكاح، وكانت هي تجيبهم دون حرج...

ويروي ابن طيفور في «بلاغات النساء» أن فتيان المدينة، وكان بينهم ابن حُبِّي، تذاكروا يوماً في أي حالات الرجال أحب إلى النساء أن يأخذوهن عليها، فقالوا لابن حُبِّي: ويحك! علم هذا والله عند أمك، قال: إذا أتاكم والله بعلمه²، فأبى علم كان عند هذه المرأة ليأخذها أهل المدينة عنها؟

تتأثرت قصص حُبِّي وأخبارها في بطون كتب التراث، تارة تظهر حكيمة من حكيماوات العرب، وتارة ناقلات لـ «كلام القدماء وأهل البدو»³، وفي أخرى

1- أنساب الأشراف، البلاذري: 218/7.

2- بلاغات النساء، ص155.

3- جوامع اللذة، من ص 35 حتى 39، ونقلها عنه العلامة الطبيب داوود الأنطاكي في النوادر من صفحة 72 إلى 76، المكتبة الثقافية، طبعة أولى 2002.

نجدها «مغنية مشهورة»⁴، بعض الرواة يجعل «حُبِّي المدينة من المغتلمات»⁵، وبعضهم يقول: إنها «كانت من كبار السحاقيات»⁶، وبعضهم رأى فيها «ماجنة»⁷.

نجدها مرة تتحدث لفتيات المدينة قصصاً مثيرة للشهوة الجنسية، ونجدها في أخرى تنصحن وتعلمهن كل ما له علاقة بشؤون الفراش مع التركيز على وضعيات الجماع وفنون الشخير والنخير. تارة توبّخ الخليفة «عبد الملك بن مروان» لقتله مصعب بن الزبير، وتارة تسدي النصيحة لمن يحتاجها من أشراف المجتمع.

فمن هذه الـ «حُبِّي» التي تنوعت أخبارها وألقابها؟

دخلت حُبِّي عالم الأمثال العربية وضربت العرب فيها المثل بشدة «الشبق» والشهوة الجنسية التي لا يضاهاها فيها إنسان، قيل: «أشبق من حُبِّي»! لأنها عشقت في شيخوختها شاباً يافعاً فارساً وشاعراً، هامت بحبه، فتزوجها. شخصية عجيبة مليئة بالتناقضات والتشابكات رسمها الرواة العرب عن هذه المرأة، ولأن قصصها وأخبارها تناثرت في بطون كتب تراثنا، فإن تسليط الضوء عليها ووضعها تحت مجهر الباحث والمتقصي عنها، سيضيء لنا جانباً مهماً عن مجتمع المدينة، لا سيما أن العصر الذي عاشت فيه حُبِّي كان عصراً مفصلياً في تاريخ العرب، ويمسّ الحد الفاصل بين الجاهلية والإسلام، وهو من أكثر العصور حساسية عند الباحث في تناول المرويات العربية، يقول الجاحظ: «الناسُ بمآثر العرب في الجاهلية أشدُّ كلفاً»⁸، وعليه فإن أي محاولة لتفكيك المرويات العربية في الجاهلية تحتاج إلى تأنُّن.

4- كما يقول الحافظ ابن حجر العسقلاني في تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة: 855-854/1.

5- رسائل الجاحظ كتاب مفاخرة الجوّاري والفلمان: 130-129/2.

6- نزهة الألباب فيما لا يوجد في كتاب للتيفاشي، ص 238.

7- بلاغات النساء، ابن طيفور، ص 155 وما يليها.

8- الجاحظ، الحيوان: 108/2.

لأن مرويات الجاهلية على اختلافها، إسلامية المرجع. وبالتالي لم تسلم المروية من مُدخلات أثرت على نسيجها التاريخي فتداخلت فيها عناصر الزمان والمكان، وكانت أقرب إلى فضاءات الأسطورة منها إلى واقع التاريخ، وتبدو عملية الفصل بين الأسطورة والتاريخ مهمة شاقة لكنها لن تخلو من متعة فك ألغازها.

يقول الدكتور صلاح الدين المنجد، أحد أهم المحققين لكتب التراث الإسلامي، في كتابه «الحياة الجنسية عند العرب»: «في المدينة ظهرت امرأة اسمها «حُبَي»، ضُربَ بها المثل بحب الجماع، فقيل: «أشبق من حُبَي»، ذلك أنها كانت تحب النكاح حباً جماً، وتؤثره على طيبات الدنيا، وبلغت من الكبر عتياً، وظلت الشهوة تفور في جسمها. فتزوجت شاباً اسمه ابن أم كلاب⁹ لتسفي، كما قالت. غلبها وتموت. وكان نساء المدينة يسمون حُبَي «حواء أم البشر» لأنها علمتهن ضرراً من هيئات الجماع، ولقبت كل هيئة بلقب». يضيف المنجد: «كانت المرجع الأول في الأمور الجنسية في المدينة، كما أن لها أقوالاً مأثورة تدل على عقل وحكمة».

ظهرت حُبَي في المدينة المنورة، في عصر امتد من أواخر أيام الجاهلية إلى الخلافة الأموية، وعاشت التناقض العجيب الذي شهده مجتمع الجزيرة العربية عندما انتقل الحكم من الجزيرة إلى دمشق.

يقول الدكتور صلاح الدين المنجد عن هذا الانتقال: «نال أهل المدينة الضيق والعنت. فانصرفوا إلى الفقه، فكان منهم فقهاء المدينة السبعة. وانصرفوا إلى الغناء فظهر فيهم كبار المغنين. وجهتان مختلفتان متباعدتان، وجد أهل المدينة فيهما خلاصاً من ضيقهم. ولكن الذين مالوا إلى اللهو وإلى الغناء كانوا أكثر ممن مال إلى الفقه والتقى، فانطلق الناس في المدينة. وفي مكة أيضاً، وراء اللذات الحسية. ورافق هذا الانطلاق صراحة في التحدث

9- راجع المرصع لابن الأثير، ص 188-189: «ابن أم كلاب هو رجل من أهل المدينة عشقته حُبَي المدينة فتزوجته على كبر سنّها فضرّب بها المثل».

عن تلك اللذات والتفنن بها بالحلال وبالحرام¹⁰.

ضمن هذا الجو طورت حُبِّي «مدرسة» لتعليم الجنس لأهل المدينة. وكانت سقيفتها المكان الذي يجتمع به طلاب العلم لاسيما الشباب منهم، وهذا سبب إضافي للنزع التهمة التي ألصقتها المستشرقون بالعرب من أنهم شعب غريزي شهواني. لا يهمه من المرأة إلا أن يطفئ شهوته فيها. الأمر لم يكن كذلك إطلاقاً، فالمدرسة التي أسستها حُبِّي، والتي لا نملك اليوم إلا بعضاً من تعاليمها، تشكل دليلاً على أن النقاش حول الجنس كان علنياً من مبدأ «لا حياء في العلم»، ويدل أيضاً على أن الشباب لم يكونوا مغيبين عن هذا الجانب، كما هو الحال في أيامنا.

ولكن هذا لا يعني أن مدرسة حُبِّي ظهرت نتيجة للمتغيرات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية على مجتمع المدينة بانتقال مركز ثقل الدعوة الإسلامية من المدينة إلى دمشق، بل إن مدرستها كانت نتيجة لتطور اجتماعي وثقافة قديمة. فرواد هذه الـ «مدرسة» كان منهم شخصيات لها ثقلها ووزنها في المجتمع. وهذا إن دلّ على شيء فإنه يدل على الانفتاح الذي كان يسود المجتمع الإسلامي بعيداً عن التشدد والتمزّت، فالسعي وراء اللذات لا يعني ميلاً إلى الانحلال الأخلاقي وإنما سعيّاً لتحقيق التوازن النفسي للمجتمع، فهذا الميل للذات رافقه ميل إلى العلم والاطلاع على ثقافات الشعوب الأخرى. ضمن هذا الجو المنفتح يجب أن ننظر إلى حُبِّي ومدرستها.

10- الحياة الجنسية عند العرب، صلاح الدين المنجد، ص57-58.

شغلي على حُبِّي

غريب ألا يفطن لحُبِّي المدنية أي من الباحثين على امتداد هذا التاريخ الطويل! فالتطرق إليها من قبل الباحثين القدماء والمعاصرين لم يكن يتجاوز بضعة أسطر أو هامشاً في كتاب، عندما يأتي ذكرها. وشخصية مثل حُبِّي تستحق عملاً مستقلاً، ويكفي سبباً لذلك أن تلقب امرأة في مجتمع المدينة، في فترة تاريخية حرجة جسدت الانتقال التاريخي في المجتمع العربي بين ما سمي بـ «الجاهلية» وبين «الإسلام»، في هذا العصر نقرأ عن امرأة عاشت في المدينة المنورة/ يثرب ولقبت بـ «حواء أم البشر».

في كتابي هذا سأعيد رسم الإطار الزمني للعصر الذي عاشت فيه حُبِّي، وسأعمل على تحديد الإطار الجغرافي للدار التي عاشت فيها وللسقيفة التي كان يجتمع فيها إليها أشراف قريش وأشراف المدينة رجالاً ونساءً، فتيناً وفتيات، ثم سنحاول تحديد معالم المدرسة التي تفرّدت بها حُبِّي وتعاليمها، ثم سأحاول أن ألمم ما تبقى من تعاليم حُبِّي وأذكر شيئاً من قصصها.

في هوامش الكتاب سأضيء على جانب مهم على وجه جديد لنساء العرب، من خلال ذكر أخبار نساء عاصرنَّ حُبِّي، وكان ثمة رابط ما فيما بينهن.

سَقِيفَةُ حُبِّي

قال الجاحظ في كتابه «المحاسن والأضداد»، فصل محاسن التزويج، نقلًا عن صالح بن حسان قال¹¹:

رأيت امرأة بالمدينة يقال لها حواء، وهي التي علّمت نساء المدينة النقع، وهو النخر والحركة والغربة والرّهز، وكانت لها سقيفة تتحدث إليها رجالات قريش، ولم يكن في الدنيا أهل بيت إلا وتأخذ صبيانهم، وتمصّهم ثديها، أو ثدي إحدى بناتها. فكان أهل المدينة يسمونها حواء. ولم يكن بالمدينة شريف ممن يجلس في سقيفتها¹² إلا واصل إليها في السنة، ثلاثين وسقاً وأكثر، من طعام وتمر، مع الدنانير والدراهم، والخدم والكساء.

فجاءها ذات يوم مصعب بن الزبير¹³، وعمر بن سعيد بن العاص، وابن

11 - المحاسن والأضداد، ص 177، أبو عثمان بن بحر الجاحظ البصري، توفي 255 هـ، دار مكتبة عرفان.

12 - والسَّقِيفَةُ: كل بناء سَقِفَتْ به صُفَّةٌ أو شِبْهُهَا مما يكون بارِزاً. والصُّفَّةُ من البُتَيَانِ شبه البُتْهِو، الواسع الطويل السَّمَكِ. وقيل: السَّقِيفَةُ هي السُّدَّةُ أو الفناء أمام باب الدار. راجع لسان العرب: شرح (سقف، صف، سدد).

13 - مصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب. ولّاه أخوه عبد الله بن زبير البصرة، ثم عزله بآبائه حمزة، ثم ولاها إياه ثانية وجمع له معها الكوفة... وعندما وفد على معاوية مع شباب من أهل المدينة من قريش بينهم عبد الملك بن مروان وعبد الرحمن ابن أم الحكم وعمر بن سعيد. جعل زياد بن أبيه يزور كل واحد منهم في المنزل الذي خصصه له، فكان وصف زياد لمصعب «هو أحيا من فتاة مُخَدَّرَة حَيَّة، وهو أحبُّهم إلي، لك أن تصطنعه». وكان مصعب يسمى «آنية النخل» لكرمه وجوده، وكان أحسن الناس وجهاً، وأشجعهم قلباً. وروي أن جميل بثينة نظر إلى مصعب على جبال عرفة فقال: إن هاهنا لفتى أكره أن تراه بثينة. (تاريخ دمشق، ابن عساكر، 319/24 وما يليها). وقال عبد الملك يوماً =

لعبد الرحمن ابن أبي بكر، فقالوا لها: يا خالة قد خطبنا نساء من قريش،
ولسنا ننتفع إلا بنظرك إليهن، فأرشدنا بفضل علمك فيهن!¹⁴ فقالت
لمصعب: يا بن أبي عبد الله! ومن خطبت؟ قال: عائشة بنت طلحة¹⁵: قالت:
فأنت يا بن الصديق؟ قال: أم القاسم بنت زكريا بن طلحة، قالت: فأنت
يا بن أبي أحيحة؟ قال: زينب بنت عمرو بن عثمان¹⁶، فقالت: يا جارية
علي بمنقلي - تعني خفيها - فأنتها بهما، فخرجت ومعها خادم لها¹⁷، فأنت
عائشة بنت طلحة، فقالت: مرحباً بك يا خالة، فقالت: يا بُنية إنَّا كنا في
مأدبة لقريش، فلم تبق امرأة لها جمال إلا دُكرت وذُكر جمالك، فلم أدرِ

= لجلسائه: من أشجع الناس؟ فأكثرُوا في هذا المعنى. فقال أشجع الناس مصعب بن
الزبير. جمع بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين وابنة الحميد بنت عبد الله بن
عباس. وولي المراقين، ثم زحف إلى الحرب، فبذلت له الأمان والحباء والولاية والعفو
عما خلص في يده، فأبى قبول ذلك وأطرح كل ما كان مشغولاً به من ماله وأهله وراء
ظهره، وأقبل بسيفه قرماً يقاتل وما بقي معه إلا سبعة نمر حتى قتل كريماً، وكانت وفاته
عام 70 أو 71 للهجرة. (الأغاني: 166/17، وتاريخ دمشق 392/24).

14- في رواية الأغاني: 53.52/10 (وعنه أخذ عمر كحالة في موسوعته: أعلام النساء
278/3). تتطابق مروية «زواج عائشة بمصعب»، لكن الخاطبة في المروية ليست «حُبى»
وإنما «عزة الميلاء»، ومطلع الرواية: أخبرني الحسين بن يحيى، قال: قال أبي حدثت عن
صالح بن حسان، قال: كان بالمدينة امرأة حسناء تسمى عزة الميلاء، يألؤها الأشراف
وغيرهم من أهل المروءات، وكانت من أطرف الناس وأعلمهم بأمور النساء، فأثاها
مصعب بن الزبير، وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر، وسعيد بن العاص، فقالوا:
إننا خطبنا، فانظري لنا..

15- كانت عائشة بنت طلحة بن عبيد الله، من نُبُل نساء قريش، أمها أم كلثوم بنت أبي بكر
رضي الله عنه، تربية خالتها عائشة أم المؤمنين - رضي الله تعالى عنها، وسنمرد لها
فصلاً خاصاً أدناه...

16- في رواية الأغاني اسمها «عائشة بنت عثمان».

17- أضاف صاحب الأغاني: «فإذا هي بجماعة يزحم بعضهم بعضاً، فقالت: يا جارية
انظري ما هذا، فنظرت ثم رجعت، فقالت: امرأة أخذت مع رجل. فقالت: داء قديم
امض، ويحك. فبدأت بعائشة بنت طلحة...».

كيف أصفك، فتجردي لأنظرك، فألقت درّعها، ثم مشت، فارتجّ كل شيء منها. ثم أقبلت على مثل ذلك، فقالت: فذاك أبي وأمي، خذي ثوبك¹⁸. وأتتهن جميعاً على مثل ذلك، ثم رجعت إلى السقيفة فقالت: يا بن أبي عبد الله، ما رأيت مثل بنت طلحة عائشة قط، ممثلة الترائب، زجاء العينين، هدبة الأشفار، محطوطة المتنين، ضخمة العجيزة، لفاء الفخذين، مسرولة الساقين، واضحة الثغر، نقية الوجه، فرعاء الشعر، إلا أنني رأيت خلتين هما أعيب ما رأيتها فيها: أما إحدهما فيواريهما الخفّ، وهي عظم القدم، والأخرى يواريهما الخمار، وهي عظم الأذن¹⁹.

18 أضاف صاحب الأغاني: فقالت لها عزة: خذي ثوبك فديتك. فقالت عائشة: قد قضيت حاجتك وبقيت حاجتي. قالت عزة: وما هي بنفسك أنت؟ قالت: تغنييني صوتاً، فاندفعت تغني شعراً لحميل بن عبد الله بن معمر العذري، ومن لحنها:

خليلي عوجاً بالحلّة من جمل	وأترابها بين الأصفير والخبيل
نقف بمغان قد محا رسمها البلى	تعاقبها الأيام بالريح والوبل
فلو درج النمل الصفار بجلدها	لأنّب أعلى جلدها مدرج النمل
وأحسن خلق الله جيداً ومقلّة	تشبه في النسوان بالشادن الطفل

فقامت عائشة، فقيلت ما بين عينيها، ودعت لها بعشرة أثواب، وبطرائف من أنواع الفضة وغير ذلك فدفعته إلى مولاتها، فحملته. وأنت النسوة على مثل ذلك تقول ذلك لهن حتى أتت القوم في السقيفة. فقالوا: ما صنعت؟ فقالت: يا بن أبي عبد الله....

19 وصف عزة الميلاء لعائشة في الأغاني: فقالت: يا بن أبي عبد الله، أما عائشة فلا والله ما رأيت مثلها مقبلة ومدبرة. محطوطة المتنين، عظيمة العجيزة، ممثلة الترائب، نقية الثغر، وصفحة الوجه، فرعاء الشعر، لفاء الفخذين، ممثلة الصدر، خميصه البطن، ذات عكّن، ضخمة السرّة، مسرولة الساق، يرتج ما بين أعلاها إلى قدميها، وفيها عيبان: أما أحدهما فيواريه الخمار، وأما الآخر فيواريه الخفّ عظم القدم والأذن، وكانت عائشة كذلك.

وصف عزة لعائشة في مروية ابن عساكر، مع الإشارة إلى أن المروية تقتصر على ذكر عائشة فقط: فقالت: رأيت وجهاً أعز من العافية، به عينان نجلاوان، من تحتها أنف أقتى، وخدان أسيلان، وفم كهم الرمانة، وعنق كإبريق الفضة، تحت ذلك صدر فيه حُفاً عاج، تحت ذلك بطن أقب، ولها عجيزة كدعص الرمل، وفخذان لفاوان، وساقان رباوان، غير أنني رأيت في رجلها كبر، وهي تغيب عنك وقت الحاجة.

وأما أنت يا بن أحيحة: فما رأيت مثل زينب بنت عمرو فراهة قط، إلا أن في الوجه ردة، ولكني مشيرة عليك بأمر تستأنس إليه، وهي ملاحاة تعتز بها²⁰.

وأما أنت يا بن الصديق، فوالله ما رأيت مثل أم القاسم. ما شبهتها إلا بخوط بانة تتثنى، أو خشف يتقلب على رمل، ولم أرها إلا فوق الرجل، وإذا زادت على الرجل المرأة لم تحسن - لا والله - إلا من يملأ المنكبين. فتزوجوهن²¹.

ونجد ما يدعم قول الجاحظ هذا لدى البلاذري في «أنساب الأشراف»: حدثني العمري عن الهيثم بن عدي: أن المصعب بن الزبير قال لحبي المدينة: ابغيني امرأة أتزوجها، فقالت: بأبي أنت وأمي. عائشة بنت طلحة على عظم في أذنيها وقدميها، فقال المصعب: أما الأذنان فيغطيهما الخمار، وأما القدمان فيغطيهما الخف. فتزوجها، وأصدقها خمسمئة ألف درهم، وأهدى لها خمسمئة ألف درهم²².

المروية التي ينقلها الجاحظ عن صالح بن حسان²³ والبلاذري في أنسابه،

20- رواية الأغاني: فإني والله ما رأيت مثل خلق عائشة بنت عثمان لامرأة قط. ليس فيها عيب والله لكانما أفرغت إفراغاً ولكن في الوجه ردة. وإن استشرتني، أشرت عليك بوجه تستأنس به.

21- رواية الأغاني: وأما أنت يا بن الصديق فوالله ما رأيت مثل أم القاسم كأنها خوط بانة، تتثنى. وكأنها جدل عنان، أو كأنها جان يتثنى على رمل، لو شئت أن تعقد أطرافها لفعلت، ولكنها شخنة الصدر وأنت عريض الصدر. فإذا كان ذلك كان قبيحاً، لا والله حتى يملأ كل شيء مثله. قال: فوصلها الرجال والنساء وتزوجوهن.

22- جمل من أنساب الأشراف: 137/10، صنفه الإمام أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري ت 279 هـ، دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى 1996.

23- أبو الحارث صالح بن حسان الأنصاري النضيري، هو من بني النضير. مديني، روى عن محمد بن كعب القرظي، وعروة بن الزبير. قال ابن أبي حاتم الرازي: هو حجازي. قدم بغداد (الأنساب للسمعماني). وكان سرياً يملأ المجلس إذا تحدث، وكان عنده جوار مغنيات فهن وضعنه عند الناس، وقدم الكوفة فسمع منه الكوفيون وأدرك المهدي (المعارف لأبي قتيبة الدينوري).

تجعل من «حواء/حُبَيّ» بطلّة زواج مصعب بن الزبير بمائثثة، ونعرف - كما أثبتنا سابقاً - أن اللقب الذي اشتهرت به حُبَيّ بين الرواة العرب هو «حواء المدينة». وما يدعم وجهة نظرنا هي رواية أحد أهم النسابة العرب وهو البلاذري الذي يؤكد أن «حُبَيّ المدينة» هي التي اختارت عائشة بنت طلحة لمصعب بن الزبير.

من رواية الجاحظ نعلم أن حُبَيّ كانت لها خدم وحشم وكانت صاحبة ثروة ونفوذ أيضاً.

فمن هي «حواء المدينة» تلك؟ ومن هي «حُبَيّ»؟

في أصل الحبِّ ومن تسمَّينَ حُبِّي

لِحُبِّي من اسمها نصيب، فأصل الاسم مشتق من الحَبِّ وهو نَقِيضُ البُغْضِ، وأعتقد أن الحُبَّ - بضم الحاء، مشتق بعد ذاته من الحَبِّ - بفتح الحاء، وهو الاسم ذاته الذي كانت تسمي به العرب القمح. ويقول صاحب اللسان في شرحه لكلمة «حب»: حُبِّي على وزن فُعْلَى: اسم امرأة. قال هُدْبَةُ بْنُ خَشْرَمٍ:

فَمَا وَجَدْتُ وَجْدِي بِهَا أَمْ وَاحِدٍ وَلَا وَجَدَ حُبِّي بِأَيْنِ أَمْ كِلَابٍ

وبشيء من الاستقاضة والتعمق في شرح كلمة «الحب» نقرأ معنى لافتاً في لغة العرب، يقول ابن منظور في لسانه: «أما الحَبُّ فليس إلا الحِنْطَةُ والشَّعِيرُ»، وفي معنى آخر يجسد شمولية اللفظ نقرأ: «الحَبُّ: الزرع، صغيراً كان أو كبيراً».

المثير للدهشة أن الحَبَّةَ تعني أيضاً «وَسَطُ الْقَلْبِ»، وفي الوقت ذاته، كما يقول الجوهري، الحَبَّةُ: واحدة حَبِّ الحِنْطَةِ، ونحوها من الحُبُوبِ²⁴.

ما أودّ قوله هو أن كلمة الحَبِّ اشتقت من الزرع وتحديداً زراعة الحَبِّ/القمح، والأصل الزراعي للكلمة يؤكد حدوث ارتقاء إنساني لافت للتعبير عن المشاعر الإنسانية، فالقمح وزراعته هو الأصل الذي نقل الإنسان من مملكة الحيوان إلى عالم البشر، عندما استطاع الإنسان تدجين حبة القمح والتحكم في ظروف إنتاجها، وحبة القمح هي البذرة التي تزرع في رحم الأرض لتخلق القربان الذي يحرر الإنسان من عالم الخضوع لظروف

24- الحَبَّةُ أيضاً: الجزء من الشيء، وفي لسان العرب يقال: حَبَّةٌ مِنْ شَعِيرٍ وَحَبَّةٌ مِنْ عَنَبٍ، وهي كلمات نستخدمها إلى يومنا هذا.

الطبيعة وتقلباتها إلى متحكم في ظروف إنتاج معاشه. ولنا في اللغة ما يدعم وجهة نظرنا، فلهة العرب ما هت بين الحب والرحم. ف «الحُبُّ» تعني فيما تننيه: الجَرَّةُ الضَّخْمَةُ، والخابِيَةُ؛ وقال ابن دريد: هو الذي يُجَعَلُ فيه الماء. هذا المعنى يضفي بعداً رمزياً مهماً على معنى الخابية أو الجرة الضخمة. إذ لها علاقة وثيقة الصلة بالرحم.

يمكن أن نعيد تشكيل الصورة بالقول إن علاقة الرجل والمرأة تشبه علاقة السماء بالأرض، وعليه يكون الحُبُّ رحماً يسكب بداخله ماء الخلق، وعليه يفهم لماذا تكون لفظة التَّحَبُّبُ في لغة العرب هي محاولات تقارب الرجل من المرأة أو العكس وهي بذات الوقت تعني «أَوَّلُ الرِّيِّ».

ولأن لها من اسمها نصيباً، فإن حُبِّي المدنية، التي اشتهرت بلقب حواء أم البشر، كانت خلال القرن الهجري الأول تؤدي رسالة القمح في تعليم البشر أسرار الإنسانية في دارها/ مدرستها، التي كانت تعلم فيها نساء ورجال المدينة المنورة كل ما له علاقة بالجنس وأحواله وأدواته.

نقول رسالة القمح، نظراً للارتباط الوثيق في ديانات الخصب القديمة بين القمح والجنس ليس باعتباره لذة لحظوية وفعلاً آلياً، وإنما باعتباره فعلاً معرفياً وطريقاً للخلود، تماماً كالقمح.

انطلاقاً من هذه الرؤية يغدو من الطبيعي ظهور مدرسة حُبِّي في يثرب، فقد كانت مجتمعاً زراعياً بامتياز.

ولعل أشهر من تسمى باسم حُبِّي في تاريخ العرب:

حُبِّي بنت حليل الخزاعي امرأة قصي بن كلاب:

تقول الأسطورة العربية: إن حليلاً كان له بَنُونَ وبنت يقال لها حُبِّي، وهي امرأة قصي بن كلاب، فمات حليل، وأوصى ابنته حُبِّي بالحجابه وأشرك معها أبا غَبْشَانَ الملكاني، فلما رأى قُصَيُّ بن كلاب أن حليلاً قد مات، وبَنُوهُ غُيِّبَ، والمفتاح في يد امرأته، طلب إليها أن تدفع المفتاح إلى ابنها عبد الدار

بن قصي، وحمل بنيه على ذلك، فقال: اطلبوا إلى أمكم حجابة جدكم، ولم يزل بها حتى سَلِسَتْ له بذلك، وقالت: كيف أصنع بأبي غَبْشَانَ وهو وَصِيّ معي؟ فقال قُصَيٌّ: أنا أكْفِيكَ أمره، فاتفق أن اجتمع أبو غَبْشَانَ مع قصي في شَرْبِ بالطائف، فخدَعَه قصي عن مفاتيح الكعبة بأن أسْكِرَه، ثم اشترى المفاتيح منه بِزَقِّ خمر، وأشهد عليه، ودَفَعَ المفاتيح إلى ابنه عبد الدار بن قصي، وطَيَّرَه إلى مكة، فلما أشرف عبد الدار على دور مكة رفع عَقِيرَتَه وقال: معاشرَ قريش، هذه مفاتيح بيت أبيكم إسماعيل قد رَزَّها الله عليكم من غير غَدَرٍ ولا ظلم، فأفاق أبو غَبْشَانَ من سكره أُنْذِمَ من الكُسْعِي، فقال الناس: أحق من أبي غَبْشَانَ، وأُنْذِمَ من أبي غَبْشَانَ، وأخْسَرُ صَفْقَه من أبي غَبْشَانَ، فذهبت الكلمات كلها أمثالا²⁵.

حُبَيِّ بنت مالك بن عمرو العدوانية:

كانت من أجمل النساء، فسمع بجمالها مَلِكُ غَسَّانٍ فخطبها إلى أبيها، وحكّمه في مهرها، وسأله تعجيلها، فلما عَزَمَ الأمر قالت أمها لُتْبَاعُها: إن لنا عند الملامسة رَشْحَه فيها هَنَه، فإذا أَرَدْتُنَّ إدخالها على زوجها فَطَيَّبْنَاهَا بما في أصدافها، فلما كان الوقت اعْجَلْهُنَّ زَوْجَها، فأغفلن تطييبها، فلما أصبح قيل له: كيف وجدت أهلَكَ طرِوقَتِكَ البارحة؟ فَقَالَ: ما رأيت كالليلة قَطْ لولا رُويْجَه أنكرتها؟ فَقَالَتْ هي مِن خلف الستر: لا تعدم الحسناء ذامًا، فأرسلتها مَثَلًا²⁶.

حُبَيِّ بن حارثة الصحابي:

يقول الإمام ابن حجر: اختلف حُبَيُّ بن حارثة الصحابي فقيل هكذا، وقيل كأصل الباب، وقيل حي بلا تصغير²⁷.

25- مجمع الأمثال: 216/1، المثل: 1167 - أحمق من أبي غَبْشَانَ.

26- مجمع الأمثال 213/2، وأيضاً فرائد اللالئ في مجمع الأمثال: 181/2.

27 ابن حجر المسقلاني، تبصير المنتبه بتحريр المشتبه: 476/1.

حُبَيِّ ابْنَةِ تُبَّع:

وَتُبَّعُ هُوَ لَقَبُ لِلْمَلِكِ، قَالَ الْمَسْعُودِي: يَسْمَى بِهِ مِنْ مَلِكِ الْيَمَنِ وَالشَّحْرِ وَحَضْرَمَوْتِ، كَالْخَلِيفَةِ لِلْمُسْلِمِينَ، وَكَسْرَى لِلْفَرَسِ، قَالَهُ الْمَسْعُودِي. فَمِنْ التَّبَاعَةِ: الْحَارِثُ الرَّائِشُ وَهُوَ ابْنُ هَمَالِ ذِي سَدَدٍ. وَأَبْرَهَةُ ذُو الْمَنَارِ. وَعَمْرُو ذُو الْأَذْعَارِ. وَشَمْرُ بْنُ مَالِكٍ، الَّذِي تَنَسَّبَ إِلَيْهِ سَمَرْقَنْدٌ. وَإِفْرِيقِيسُ بْنُ قَيْسٍ، الَّذِي سَاقَ الْبَرْبَرِ إِلَى إِفْرِيقِيَّةٍ مِنْ أَرْضِ كَنْعَانَ، وَبِهِ سَمِيَتْ إِفْرِيقِيَّةٌ. تَقُولُ الْآيَةُ الْقُرْآنِيَّةُ، سُورَةُ الدُّخَانِ 37/44 - 39: ﴿أَهْمُ خَيْرٍ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾.

وَنَقَلَ الْقُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ عَنِ الزَّجَاجِ وَابْنِ أَبِي الدُّنْيَا وَالزَّمَخْشَرِيِّ وَغَيْرِهِمْ أَنَّهُ حَفَرَ قَبْرَ لَهُ بِصَنْعَاءَ - وَيُقَالُ بِنَاحِيَةِ حَمِيرٍ - فِي الْإِسْلَامِ، فَوُجِدَ فِيهِ امْرَأَتَانِ صَحِيحَتَانِ، وَعِنْدَ رُؤُوسِهِمَا لَوْحٌ مِنْ فِضَّةٍ مَكْتُوبٌ فِيهِ بِالذَّهَبِ: «هَذَا قَبْرُ حُبَيِّ وَلَيْسَ». وَيُرْوَى أَيْضاً: «حُبَيِّ وَتَمَاضِرُ». وَيُرْوَى أَيْضاً: «هَذَا قَبْرُ رِضْوِيِّ وَقَبْرِ حَبِ ابْنَتَا تَبَّعٍ، مَاتَتَا وَهُمَا يَشْهَدَانِ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَا يَشْرِكُ بِهِ شَيْئاً؛ وَعَلَى ذَلِكَ مَاتَ الصَّالِحُونَ قَبْلَهُمَا»²⁸.

28- الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي، الدخان 37:39/44.

عصر حُبِّي

لم تحدد كتب الأنساب والأخبار تاريخاً لميلاد حُبَيٍّ²⁹ ووفاتها، ورغم حرصهم على إيراد ذكرها إلا أن أغلبهم اكتفى عند ذكرها بأنها شخصية مشهورة لها نواذر وأخبار شهيرة، منها ما نجده لدى شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني في كتابه «تبصير المنتبه بتحرير المشتبه»³⁰، أو ابن ناصر الدين الدمشقي³¹ وغيرهما.

لذلك فإنه من الصعوبة تحديد موعد لميلاد حُبَيٍّ ووفاتها ونسبها، بسبب الغموض الذي أحيطت به هذه الشخصية، ولأن اسم حُبَيٍّ ارتبط ببعض الحوادث الشهيرة في التراث العربي كحادثة مقتل الشاعر هذبة ابن الخشرم، ومقتل مصعب بن الزبير، فإن ذلك يتطلب منا توخي الحذر أثناء التعامل مع المرويات التي يتصدرها اسم حُبَيٍّ أو التي تكون حُبَيٍّ طرفاً فيها.

يمكن تحديد خطوط عريضة للإطار الزماني والمكاني الذي عاشت فيه حُبَيٍّ، وذلك من خلال شخصيات محورية تذكر كتب التراث الأدبية والتاريخية أنها عاصرتهم واحتكت بهم، مثل الخليفة عمر بن الخطاب

29- أشهر من تسمى باسم حُبَيٍّ كما نقرأ في كتب الأنساب: حُبَيٍّ بنت حُلَيْل الخزاعية أم ولد قصي بن كلاب أم عبد مناف وعبد الدار وعبد العزى وعبد بني قُصي (راجع توضيح المشتبه وتبصير المنتبه بتحرير المشتبه لابن حجر 3/398)، وفي المعبر ورد اسم حُبَيٍّ بنت حُلَيْل بن حبشية بن سلول الخزاعية، ص457.

30- تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، ابن حجر العسقلاني 1/476، وفيه: «حُبَيٍّ بالضم وإمالة: المدنية لها نواذر وأخبار شهيرة».

31- توضيح المشتبه، لابن ناصر الدمشقي: 3/398، وفيه: «حُبَيٍّ بغير الإمالة: حُبَيٍّ المدنية مشهورة».

والخليفة عثمان بن عفان والخليفة عبد الملك بن مروان والشاعر هدية بن الأشرم، والشخصية الشهيرة مصعب بن الزبير، ومالك بن عوف، سيد هوازن.

عمر بن الخطاب 584 م - 644 م

ولد الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب بعد عام الفيل³² بثلاث عشرة سنة³³، أي بحدود عام 582 ميلادي (+/- عام)، ونقل ابن الجوزي في مناقب عمر رضي الله عنه عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر: ولدت قبل الفجار الأعظم بأربع سنين³⁴، والفجار الأعظم وقع بعد الفيل بعشرين عاماً أي بحدود 589 للميلاد (+/- عام) أي يكون ميلاده سنة 585 ميلادي. وأسلم وله سبع وعشرون سنة، كما قال الذهبي³⁵، أو ست وعشرون سنة³⁶. توفي آخر سنة ثلاث وعشرين للهجرة³⁷ أي 644 ميلادي. واختلف في عمره عند وفاته³⁸ وأرجح أنه كان 58 سنة.

يقول مؤرخ المدينة «ابن شبة»، ونحنا السمهودي نحوه: إن «حُبَيّ» كانت مرضعة الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وهذا يعني أن حُبَيّ ولدت قبل 589 للميلاد بنحو خمسة عشر عاماً.

32- هو العام الذي غزا فيه أبرهة الأشرم مكة لتدمير الكعبة، بهدف تحويل الناس إلى كعبته التي بناها في اليمن، وكان الفيل هو السلاح العسكري الجديد والمفاجئ الذي استخدمه الأشرم في معركته لذلك سمي العام بهذا الاسم، ويقدر الباحثون أن يكون عام الفيل 568 أو 569 أو 570 ميلادي.

33- تاريخ الخلفاء، السيوطي، ص 89.

34- مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ابن الجوزي، ص 13.

35- تاريخ الخلفاء، السيوطي، ص 89.

36- مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ص 13.

37- تاريخ الخلفاء، ص 111.

38- بزيادة أو نقصان عام.

مالك بن عوف

هو مالك بن عوف بن سعد بن ربيعة بن يربوع بن وائلة بن دهمان بن نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن النصري، يكنى أبا علي³⁹، سيد قومه هوازن⁴⁰.

وذكر العلامة الطبيب داود الأنطاكي في كتابه «تزيين الأسواق وأخبار العشاق»⁴¹ أن مالك بن عوف كان زوجاً لحُبَيٍّ، وقد استدل الأنطاكي بذلك من بيت شعر قاله الشاعر هدية بن الخشرم عندما مرَّ على حُبَيٍّ في طريقه للقتل سنة 57 للهجرة، فقالت له حُبَيٌّ: سبيل الله شبابك وصبرك وشعرك، فأشد ارتجالاً:

تعجَّب حُبَيٍّ من أسير مُكبَّل صليب العصا باق على الرِّسْفَانِ
فلا تعجبي مني حَليلة مالك كذلك يأتي الدهر بالحدَثَانِ

39 تاريخ الطبري، ص 441-446 أحداث السنة الثامنة للهجرة.

40 وهي قبيلة هوازن بن منصور: بطن من قيس بن عيلان، من العدنانية، وهم: بنو هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. له أفخاذ كثيرة، يجمعهم ثلاثة أجرام، كلهم لبكر بن هوازن، وهم: بنو سعد بن بكر، وبنو معاوية بن بكر، وبنو منبه بن بكر. منازلهم: كانوا يقطنون في نجد مما يلي اليمن. ومن أوديتهم: حنين. تاريخهم: ومن أيامهم ووقعاتهم: وقعة أثنان وهو موضع قرب الطائف كانت به وقعة بين هوازن وثقيف، كثر فيهم القتلى، حتى أئنتوا. ويوم شمظة، كان لهوازن على كنانة، ويوم الفجار الأول، كان بين كنانة، وعجز هوازن. ويوم الفجار الرابع، وهو الأكبر، كان بين قريش وهوازن، ... وغزا الرسول (ص) هوازن بوادي حنين، لستُ خلون من شوال، بعد فتح مكة، في اثني عشر ألفاً من المسلمين، ورئيس هوازن مالك بن عوف النصري. وقال: قد رددت الذي لبني هاشم عليهم. وارتدوا سنة 11 هـ عن الإسلام، فيمن ارتد من العرب، واشتركوا، وذكروا في حوادث سني 36، 51. 61 من الهجرة. أصنامهم: من أصنامهم: جهار، وهو صنم كان لهم بمكاظ، وكانت سدنته آل عوف النصريون، وكانت محارب معهم، وكان في سفح أطلح. وكانوا يعظمون ذا الخلصة (معجم قبائل العرب، عمر رضا كحالة: 1231/3).

41- راجع تزيين الأسواق، داود الأنطاكي، ص 186، ديوان هدية بن الخشرم، ص 19-147.

فهل كانت حُبِّي في ذلك التاريخ زوجة لمالك بن عوف، أم أن الأنطاكي أخطأ في استدلاله، علماً أن هدية ذكر حُبِّي بشعر قارن فيه حبه لزوجته بحب حُبِّي ووجدتها بشاب يدعى عبيد ابن أم كلاب.

أول ذكر لمالك كما يقول ابن حبيب في المنمق كان بعد أيام الفجار التي كانت هوازن طرفاً رئيساً فيها، عام 589 للميلاد واستمرت أربع سنين، تدعى القوم للصالح، فاندس وهب آل معتب حتى مكرت هوازن بكفانة وكان مالك بن عوف حينئذ على رأس ناس من بني النصير ممن أغاروا على بني ليث بصحراء الغميم (موضع بين مكة والمدينة) وجعل مالك يقاتل ويرتجز وهو يومئذ أمرد⁴²، (الرجز):

أمرد يهدي حلمه شيب اللحي

يقول الطبري: إن مالك جمع ثقيف وهوازن بوادي حنين قرب وادي ذي المجاز لقتل رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، فهزمه النبي وساق نساءهم وصبيانهم وماشيئهم غنيمة، وقسم أموالهم فيمن كان أسلم من قريش. وعندما أسلمت ثقيف، سأل عنه رسول الله وفد هوازن، وقال لهم: «أخبروا مالك إن أتاني مسلماً رددت إليه أهله وماله. وأعطيته مئة من الإبل». فخرج مالك من الطائف إلى الرسول، وأسلم وحسن إسلامه. ووفى الرسول له بوعده واستعمله على من أسلم من قومه.

هدية بن الخشرم

هدية بن الخشرم بن كُرْز بن أبي حَيَّة، شاعر فصيح قتل شاباً وهو من قبيلة عذرة، وترفع كتب النسب نسبه إلى قضاة، قتل ابن عمه زيادة بن زيد العذري في أيام معاوية بن أبي سفيان، فحبسه فقتل في حرّة المدينة سنة سبع وخمسين من الهجرة وهو شاب⁴³، وله لقاء شهير بحُبِّي وهو في طريقه

42- المنمق، ابن حبيب، ص184.

43- ديوان هدية بن الخشرم، ص22.

إلى حتفه قال فيه عن حُبهِ لزوجته⁴⁴:

وجدت بها ما لم تجد أمَّ واحد ولا وجدَ حُبِّي بابن أمِّ كلاب
رأته طويل الساعدين شمر دلاً كما تشتهي من قُوَّة وشبابٍ

وهذا يعني أن حُبِّي كانت على قيد الحياة سنة 57 للهجرة.

عبد الملك بن مروان 647 م - 705 م

ولد عبد الملك بن مروان سنة 26 للهجرة⁴⁵ (647 ميلادي)، توفي سنة 86 للهجرة (705 ميلادي) عن 60 عاماً. وقتل عبد الملك مصعب بن الزبير في جمادى الآخرة 71 للهجرة⁴⁶ (690 م - 72 هـ) وعمره ست وثلاثون سنة. كما ذكر ابن الأثير في تاريخه⁴⁷، مضيفاً أن عبد الملك قال يوماً لجلسائه: إن للحرورية لطريقاً. قالوا: فمن؟ قال: مصعب، كان عنده عقيلتا قريش سُكينة بنت الحسين وعائشة بنت طلحة، ثم هو أكثر الناس مالاً، جعلت له الأمان وولاية العراق، وعلم أنني سأفي له، للمودة التي كانت بيننا، فحمى أنفأ وأبى وقاتل حتى قتل.

ولقاء حُبِّي بعبد الملك بن مروان مثبت في أكثر من مناسبة. وإن سلمنا بهذه المروية فهذا يعني أن حُبِّي كانت لا تزال حية في عام 690 للميلاد، ولكن ذلك مثير للتساؤل فهي إما أنها ليست مرضعة عمر بن الخطاب، أو أن حادثة لقائها بعبد الملك بن مروان لم تتم بعد مقتل مصعب بن الزبير لأن عمرها سيكون حينئذ أكثر من مئة عام، هذا الأمر يبدو مقبولاً إذا افترضنا

44- ديوان هدية بن الخشرم، ص 78-79، حصل خلاف حول الشاعر الذي قال هذا البيت، وهناك شبه إجماع على أنه لهدية بن الخشرم.

45 تاريخ الخلفاء، السيوطي، ص 171.

46- تاريخ الرسل والملوك، الطبري، ص 1132، يعقب الطبري بعد ذكر حادثة لقاء حُبِّي مع كل من عبد الملك ومصعب، قيل: إن مقتل مصعب وحربه مع عبد الملك جرت في سنة 62 للهجرة.

47- تاريخ ابن الأثير: 4/333.

أن حُبَيَّ كانت من نساء العرب المعمار، ولنا ما يؤيد افتراضنا، مع غياب أي مصادر تراثية، بأن طول عمرها كان أيضاً سبباً في إطلاق اللقب الذي اشتهرت به وهو «حواء أم البشر» إضافة إلى ما قاله الجاحظ.

مكانة حُبَيَّ

سنفصل لاحقاً في الرويات التي تربط حواء المدينة بهذه الشخصيات. ولكن لا يمكننا إلا أن نقرّ بداية بالمكانة المرموقة التي كانت تتمتع بها «حُبَيَّ» في المدينة، وإذا صحَّ أن هُدبة قال البيتين السابقين. فإن ذلك من شأنه تأكيد مكانة حُبَيَّ في عالم الحب أيضاً. إذ إن هُدبة لحظة موته، وكي يُعلم الناس مدى حُبِّه ووجده بزوجته، وضع نفسه في مقارنة مع وَجد حُبَيَّ بابن أم كلاب، رغم أن هُدبة تزوج امرأة واحدة في حياته، لأنه كان نصرانياً. وهي من قبيلة قضاة، وكانت من أجمل نساء زمانها شكلاً وقواماً. واشتهرت بالوفاء له والجزع عليه، فقد جدعت أنفها وقطعت شفتيها عند قتله، لئلا تحدثها نفسها بالزواج بعده⁴⁸.

48- ديوان هُدبة، ص 8.

معلمة حُبِّي

كانت حُبَيّ أول من علم أهل المدينة النخر والحركة والغربلة وشدة الرهز، وإنما أخذت ذلك عن سعدى بنت الحارث⁴⁹.

هذه هي المعلومة الوحيدة التي ينقلها أحد أئمة القرن الثالث الهجري ابن طيفور (204 - 280 هـ)، في بلاغات النساء، وأسندها للهيثم⁵⁰ عن صالح بن حسان⁵¹. وهي المعلومة الوحيدة التي نعلم من خلالها أن حُبَيّ معلمة، والمعلومات عن سعدى شحيحة هي الأخرى، ولكنها أكثر تنوعاً، لأنها إحدى زوجات الصحابي طلحة بن عبيد الله، ولها رواية عن بعض الصحابة.

فمن هي معلمة حُبَيّ؟

نكاد لا نثر على ذكر لسُعدى بنت الحارث سوى في رواية ابن طيفور السابقة. وعند الفاكهي صاحب أخبار مكة، في حديث روته عن زوجها طلحة بن عبيد الله، وهو الحديث ذاته الذي يرويه ابن حجر العسقلاني في الإصابة، والمزّي في تهذيبه، عن سُعدى بنت عوف بن خارجة بن سنان بن

49 بلاغات النساء، ص155.

50 الهيثم بن عدي بن عبد الرحمن الطائي كنيته أبو عبد الرحمن، يقول المرزباني: كان من علماء الناس بالشعر رواية، توفي سنة 207 للهجرة، راجع مختصر نور القبس للمرزباني، ص293.

51 أبو الحارث صالح بن حسان الأنصاري النضيري، هو من بني النضير، مديني، روى عن محمد بن كعب القرظي، وعروة بن الزبير. قال ابن أبي حاتم الرازي: هو حجازي، قدم بغداد (الأنساب للسمعاني). وكان سرياً بملأ المجلس إذا تحدّث، وكان عنده جوار مفنيات فهن وضعته عند الناس، وقدم الكوفة فسمع منه الكوفيون. وأدرك المهدي (المعارف لأبي قتيبة الدينوري). وسنلاحظ أن صالح هو من ذكر كثيراً من الأخبار عن حُبَيّ.

أبي حارثة المري، من بني مرة بن عوف بن غطفان⁵² زوجة طلحة⁵³، وجعلها الإمام الحافظ ابن حبان: سعدى المريّة، في كتابه الثقات من بين أسماء الثقات في رواية الحديث والآثار⁵⁴.

يقول أبو الفرج الأصفهاني في أغانيه: «هي سعدى بنت عوف بن خارجة بن سنان بن أبي خارجة بن عوف بن أبي حارثة بن لأم الطائي، وكانت سعدى بنت عوف عند عبد الله بن الوليد بن المغيرة فولدت له سلمة وريطة، ثم توفي عنها، فخلف عليها طلحة بن عبيد الله⁵⁵، فولدت له يحيى وعيسى وكان عيسى ثقة كثير الحديث، وكان من علماء قريش⁵⁶، ثم قتل طلحة عنها، فخطبها عبد الرحمن بن الحارث بن هشام⁵⁷ وكان عبد الرحمن من سادة قريش وله دار بالمدينة. وزوجه عثمان بن عفان ابنته، وكان

52- مختصر تاريخ دمشق 185/25.

53 راجع الفاكهي، أخبار مكة في قديم الدهر وحديث 50/5 وهامش المحقق رقم 2817 (والزبي هو جمال الدين يوسف أبو الحجاج وكتابه تهذيب الكمال في أسماء الرجال): والحديث الذي يرويه الفاكهي: وفي أخبار مكة للفاكهي هو: حدثنا هارون بن موسى بن طريف قال: حدثنا ابن وهب، عن عمرو - يعني ابن الحارث - قال: إن بكيراً حدثه أن زفر بن عقيل حدثه أن سعدى بنت الحارث - امرأة طلحة بن عبيد الله - حدثته أن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه «كان يقدمهم ليلة المزدلفة حتى يصلوا الصبح بمنى».

54- وفي كتاب الثقات لابن حبان: 338/6: روى عنها زفير بن الأشج، وفيه أيضاً 351/4: زوجة طلحة بن عبيد الله اسمها سعدى المريّة، تروي عن عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله، وروى عنها ابنها يحيى بن طلحة بن عبيد الله.

55- طلحة بن عبيد الله بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، ويكنى أبا محمد، وأمه الصعبة بنت عبد الله بن عماد الحضرمي، وأمها عاتكة بنت وهب بن عبد بن قصي، وقال بعض الرواة: كان عبيد الله أبو طلحة قرن أبي بكر وطلحة في الجاهلية، فسميا القرينين. وكان طلحة أحد العشرة الذين سموا للجنة، قالوا: وكان يقال لطلحة بن عبيد الله: طلحة الخير، وطلحة الفياض.

56- مختصر تاريخ دمشق: 75-74/20.

57- نسب قريش، ص306: يقول الزبير: كان لعبد الرحمن بن الحارث بنات تزوجن في مناكح من قريش شريفة بعضهن ترك ولداً.

فيمر حضر جمع القرآن في المصحف وإقامته على لغة قريش⁵⁸، فتكلم بنو سَعْدَى وكرهوا أن تتزوج وقد صاروا رجالاً، فقالت: إنه قد بقي في رحم أمكم فضلة شريفة لا بد من خروجها، فتزوجها فولدت له المغيرة بن عبد الرحمن الفقيه⁵⁹ وكان من أجواد قريش، وغزا مع مسلمة بن عبد الملك أرض الروم⁶⁰، وولدت له أيضاً زينب وهي أم حكيم».

ويفهم من كلام الأصفهاني أن الابنة الأخيرة لسَعْدَى وهي زينب كانت تلقب بأم حكيم وقد حملت هذا اللقب أيضاً ابنة زينب. نقرأ في أغاني الأصفهاني: «كانت أم حكيم وأمها زينب بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام من أجمل نساء قريش، فكانت قريش تقول لأم حكيم: الواصلة بنت الواصلة، وقيل الموصلة⁶¹ بنت الموصلة، لأنهما وصلتا الجمال بالكمال»⁶². وزينب⁶³

58 أنساب الأشراف 10، 175-176.

59 كان المغيرة أحد أجواد قريش والمطعمين منهم. وقد قدم الكوفة على عبد الملك بن بشر بن مروان وكان صديقه، وبها جماعة يطعمون الناس من قريش وغيرهم، فلما قدم تنفيوا فلم يظهر أحد منهم حتى خرج وبث المغيرة الجفان في السكك والقبائل يطعم الناس، فقال فيه شاعر من أهل الكوفة:

أتاك البحر طم على قريش مغيري فقد راغ ابن بشر

قال مصعب الزبيري: هو - يعني المغيرة - مطعم الجيش بمعنى وهو إلى الآن يطعم عنه. قال: وكانت أخته زينب أحسن الناس وجهاً وقدأ وكان أعلاها قضيبي وأسفلها كتيب. فكانت تسمى الموصلة، وسُميت بنتها أم حكيم بذلك لأنها أشبهتها. (الأغاني في أخبار أم حكيم. ونسب قريش).

60 مختصر تاريخ دمشق: 184/25.

61- نسب قريش، المصعب الزبيري، ص307: وكانت زينب تسمى من حسننها «الموصلة، لأن كل إرب (عضو) منها كأنما حسن خلقه، ثم وصل إلى الإرب الآخر.

62- أخبارها في الأغاني: 15/49-50.

63 الأغاني: 15/49-50، ونسب قريش، المصعب الزبيري، ص307: كانت زينب بنت عبد الرحمن من لين جسدها يقال لها الموصلة، قال مصعب: فتزوج زينب أبان بن مروان بن الحكم، فولدت له عبد العزيز بن أبان، ثم مات عنها، فخطبها يحيى بن الحكم وعبد الملك بن مروان، فماتوا إلى عبد الملك، فأرسل يحيى إلى المغيرة بن عبد الرحمن: كم الذي تأمل =

ابنة سُعدى بنت الحارث فضلت يحيى بن الحكم على الخليفة عبد الملك بن مروان. وتجرات عليه بأن لقبته بأبي الذُبان، لأن الذبان كان يعلق على فمه لثنت رائحته. وأم حكيم حفيدة سُعدى هي إحدى زوجات الخليفة هشام بن عبد الملك. ولها أخبار كثيرة ولعل من أشهر أخبارها كأس أم حكيم «الذي كانت تشرب فيه مشهور عند الناس إلى اليوم. وهو في خزائن الخلفاء». وكي لا نرهق نصنا، سننقل الحديث عن هذه المرأة التي تقدّم لنا إطلالة جديدة على المرأة في التراث العربي إلى الهوامش⁶⁴.

= من عبد الملك، والله لا يزيدا على ألف دينار ولا يزيدك على خمسمئة دينار، ولها عندي خمسون ألف دينار. ولك عندي عشرة آلاف دينار بن زوجتيها. فوجه إياها على ذلك. فنضب عليه عبد الملك. وقال: دخل علي في خطبتي والله. وقال: لا يحطب على منبر. ما دمت حياً ولا رأى مني ما يحب فأستطه. فقال يحيى: لا أبالي كمكتان وزينب. يقول: لا أبالي إذا وجدت كمكتين أكلهما. وكانت عندي زينب. وفي رواية: فجعل يحيى يقول:

ألا لا أبالي اليوم ما فعل الدهر إذا بقيت لي كمكتان وزينب

ويقال إن عبد الملك لما تزوجها يحيى. قال: لقد تزوجت أفوه غليظ الشفتين. فقالت زينب: هو خير من أبي الذباب فما له يعبه بضمه، وقال يحيى: قولوا له أقبح من فمي ما كرهت من فمك.

64- إضافة إلى الأغاني. راجع مختصر تاريخ دمشق لابن منظور: 256 255/28، ومعجم البلدان 356-355/4. وأم حكيم بنت يحيى ويقال: بنت يوسف بن يحيى بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف. أمها زينب بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومية. امرأة شاعرة. ومما يروى من شعرها: (من البحر الطويل)

ألا فاسقياني من شراكما الوردي وإن كنت قد انفدت فاستر هنا بردي

سوارى ودملوجي وما ملكت يدي مباح لكم نهب، فلا تقطعوا وردي

تزوجها عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك، فطلقها، ثم تزوجها هشام بن عبد الملك، فولدت له يزيد بن هشام، وإلى أم حكيم هذه ينسب سوق أم حكيم. وقصر أم حكيم الذي عند مرج الصفر.

قال الأصفهاني: لما عقد النكاح بينهما عقد في مجلس عبد الملك وأمر بإدخال الشعراء ليهنئوهم بالعد ويقولوا في ذلك أشعاراً كثيرة يرويها الناس، فاختر منهم جرير وعدي بن الرقاع، فأمر لكل منهما بعشرة آلاف درهم، وقضى لأهله ومواليه يومئذ مئة حاجة وأمر لجميع من حضر من الحرس والكتاب بعشرة دنانير عشرة دنانير. =

كان لسُعدى بنت الحارث مكانة كبيرة في الإسلام، فهي زوجة الصحابي طلحة بن عبيد الله، أحد العشرة المبشرين بالجنة وقرن أبو بكر الصديق وأحد أوائل المسلمين، وهي صحابية جليلة وراوية للآثار من الثقات، وقد روت عن زوجها وعن عمر بن الخطاب وعن غيرها من الصحابيات، وروى عنها ابنها يحيى⁶⁵.

لأنه لا يوجد مرجع آخر نتأكد منه ما إذا كانت سُعدى معلمة لحُبَيّ نقول: إن عظم مكانة سُعدى في مجتمع المدينة يؤكد أن ما كانت تقوم به حُبَيّ وسُعدى من قبلها، إنما هي رسالة إنسانية، لا عيب فيها كما يمكن أن ينظر إليها بعض صغار العقول ومن ينشغلون بالتفاصيل السخيفة.

= كأس أم حكيم

وكانت أم حكيم منهومة بالشراب مدمنة عليه تكاد لا تفارقه، وكأسها الذي كانت تشرب فيه مشهور عند الناس إلى اليوم، وهو في خزائن الخلفاء حتى الآن وفيه يقول الوليد بن يزيد:

عللاني بعاتقات الكروم واسقياني بكأس أم حكيم
إنها تشرب المدامة صرفاً في إناء من الزجاج عظيم

ويقال: إن هذا الشعر بلغ هشاماً فقال لأم حكيم: أنفعلين ما ذكره الوليد؟ فقالت: أو تصدقه الفاسق في شيء فتصدقه في هذا؟ قال: لا، قالت: فهو كبعض كذبه... قال الأصفهاني: أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثني محمد بن موسى قمطر عن إسماعيل بن مجمع قال: كنا نخرج ما في خزائن المأمون من الذهب والفضة فنزكي عنه، فكان فيما يزكي عنه قائم كأس أم حكيم وكان فيه من الذهب ثمانون مثقالاً، قال محمد بن موسى: سألت إسماعيل بن مجمع عن صفته، فقال: كأس كبير من زجاج أخضر مقبضه من ذهب هكذا ذكر إسماعيل، وقد حدثني علي بن صالح بن الهيثم بمثله قال: حدثنا إبراهيم بن أحمد المادرائي قال: لما أخرج المعتد ما في الخزائن ليباع في أيام ظهور الناجم بالبصرة أخرج إلينا كأس أم حكيم فكان كأساً مدوراً على هيئة القحف يسع ثلاثة أرباط فقوم بأربعة دراهم، فمجيئنا من حصول مثله في الخزانة مع خسارة قدره فسلأنا الخازن عنه، فقال: هذا كأس أم حكيم فرددناه إلى الخزانة، ولعل الذهب الذي كان عليه أخذ منه حينئذ ثم أخرج ليباع.

65- توضيح المشتبه: 325/7. 101/5.

دار حُبَّی

تقع المدينة المنورة (يثرب) في حرّة سبخة الأرض ولها نخيل كثيرة ومياه، ونخيلهم وزروعهم تسمى من الآبار، وللمدينة سور والمسجد في نحو وسطها، وقبر النبي صلى الله عليه وسلم في شرقي المسجد⁶⁶. ومن خصائص المدينة أنها طيبة الريح، وللعطر فيها فضل رائحة لا توجد في غيرها، وتمرها الصّحّياني لا يوجد في بلد من البلدان مثله، ولها حبّ اللبان ومنه يحمل إلى سائر البلدان⁶⁷. هذه الجغرافية جمعت من مجتمع المدينة مجتمعاً ينعم بحياة الاستقرار كمجتمع زراعي معتمد على الآبار.

ذكر ابن طاهر، وإسناده إلى محمد بن إسماعيل البخاري، قال: المدني هو الذي أقام بالمدينة ولم يفارقها، والمدني الذي تحول عنها وكان منها، والمشهور عندنا أن النسبة إلى مدينة الرسول مدني مطلقاً، وإلى غيرها من المدن مديني للفرق لا لعلّة أخرى⁶⁸. لذلك فإن الاختلاف في تسمية حُبَيّ بـ «المدنية» أو «المدينية» أو «المدينة» يعود لاختلاف أهل العلم في ذلك. عموماً فإن المرويات العربية - فيما بين أيدينا من مصادر - تظهر أن حُبَيّ ولدت وعاشت وماتت في المدينة.

66- معجم البلدان: 82/5.

67- معجم البلدان: 87/5، الحيوان، للجاحظ: 142/3-143.

68- معجم البلدان: 83/5.

خلال عملي على تحديد منزل حُبِّي في المدينة واجهتني صعوبة نتجت عن التشويش الذي وضعنا به المخطوطات الرئيسية التي أرخت للمدينة، وأقصد بالتحديد «تاريخ المدينة المنورة» لابن شبة، و«وفاء الوفا» في أخبار دار المصطفى» للسهودي، إذ نجد أن محققي نسخ المخطوطات النادرة في عصرنا جعلونا نقع أسرى التشويش، وهذا ظهر في مجال بحثنا عند ذكر «دار حُبِّي»، فبعض النسخ تذكره «دار حُبِّي» وفي أخرى «دار حُبِّي» وربما كان التشويش الذي أوقعنا به محققو تلك التواريخ ناتج عن خطأ وقع به النساخ أو لجهل المحققين باسم حُبِّي، أو لأسباب تعود إلى أن «ابن شبة» تفرد في الإشارة إلى أن «حُبِّي» كانت مرضعة الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. ونحوه لنا السهودي، وربما تخرج رواية الأخبار والمؤرخون المسلمون ومن بعدهم المحققون من ذكرها لاشتهار أخبارها.

نقرأ في تاريخ المدينة لابن شبة، وعليه استند مؤرخ المدينة السهودي:

69- راجع وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، ص740، لنور الدين علي بن عبد الله السهودي المتوفى 911 هـ، حققه: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، وفي هذه النسخة يقرأ المحقق تارة «حبي» وأخرى «جبي»، وانظر أيضاً: تاريخ المدينة 237/1، لابن شبة أبو زيد عمر بن شبة النميري البصري (173 - 262 هـ) تحقيق: فهم محمد شلتوت، وفيه اعتمد المحقق على كتاب وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى 72/3، الذي حققه الدكتور قاسم السامرائي وصدر عن مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي - مكة المكرمة، وفي الكتابين ورد الاسم «جبي».

وقد لجأ محقق «تاريخ المدينة»، فهم شلتوت لكتاب «وفاء الوفا» في تثبيت اسم جبي نظراً لصعوبة قراءة نسخة المخطوط التي اعتمدها فهو يؤكد في مقدمته (ز) أن: «خط الكتاب تتعذر قراءته، والخرم والسقط فيه كثير»، إضافة لكون المخطوط كما يقول في مقدمته صفحة (م): «كتبت بخط دقيق غير منقوط إلا نادراً، ولا نستطيع أن نحكم عليه بأنه نسخي عادي، ولا أنه ينتسب للون بعينه من ألوان الخط العربي».

لم أجد فيما بين يدي من مراجع ذكر لاسم «جبي» فيما سمي العرب من أسماء، ولكنني وجدت في «معجم قبائل العرب لعمر رضا كحالة» قبيلة باسم «جبا»: عشيرة من ميمون، من بني سالم، من حرب. تقيم على طريق المدينة المنورة بالحجاز: 159/1.

«قال ابن شبة: اتخذ سعد (بن أبي وقاص) رضي الله عنه⁷⁰ داراً في قبلة دار إبراهيم بن هشام المخزومي بالبلاط في غربيها، وهي دبر دار حُبِّي⁷¹ ولها في دار حُبِّي طريق مسلمة، وهي بأيدي ولد سعد اليوم. وقد سمعت بعض من يقول: كانت دار حُبِّي لسعد، وهي هذه الدار التي ذكرناها في قبلة دار إبراهيم بن هشام. وأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان قاسمه إياها، فكانت دار حُبِّي⁷² قسيمة هذه الدار، حين قاسمه ماله مقدّم سعد من العراق (راجع شكل رقم 1)⁷³، وأن عمر رضي الله عنه لما قاسمه إياها، باعها من عثمان بن عفان باثني عشر ألف درهم، ثم صارت لعمر وبن عثمان. وكانت حُبِّي أرضعت عمر، فوهب لها الدار، فكانت بيدها حتى سمعت نقيضاً في سقف بيتها الذي كانت تسكن. فقالت لجاريتهما: ما هذا؟ فقالت: السقف يُسَبِّح. قالت: ما سَبَّحَ شيء قط إلا سَجَدَ⁷⁴، لا والله لا سَكَنْتُ هذا البيت. فخرجت منه فاضطربت خباء بالمصلى، ثم باعت الدار من بعض ولد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فهي بأيديهم إلى اليوم. قال: وسمعت من يقول إن عثمان نفسه رضي الله عنه أقطعها حُبِّي. قاله أعلم».

نعلم إذاً أن دار الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، كانت

70 كانت دار الصحابي سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، في الجهة الجنوبية الشرقية من المسجد، في قبلة دار إبراهيم بن هشام، ولعلها دخلت في دار حسن بن زيد. وسعد هو أحد العشرة والسابقين الأولين وأول من رمى سهم في سبيل الله وأحد الستة أصحاب الشورى. وفاتح القادسية. ولي الكوفة زمن عمر وعثمان، عاد إلى المدينة في عهد عثمان (بيوت الصحابة حول المسجد النبوي الشريف، ص 74-75).

71 اعتمدت كتابة اسم حُبِّي لتجنب التشويش الذي خلط فيه المحققين.

72 يرد الإسم هنا حُبِّي.

73 - بيوت الصحابة، ص 60.

74 - ذكر اليوسي في «زهر الأكم في الأمثال والحكم» 2/25: حكي أن رجلاً دخل داراً ينظرها ليشتريها فسمع في بعض خشبها صوتاً فقال: ما هذا؟ فقال صاحب الدار: أعزك الله! هذا السقف يُسَبِّح لله عز وجل. فقال: أخشى أن يلحقه الخشوع فيسجد.

في الجهة الجنوبية الشرقية من المسجد النبوي، ولعلها دخلت في دار حسن بن زيد⁷⁵.

تفيدنا رواية ابن شبة بتقدير تاريخ للفترة التي وهب فيها الخليفة عمر بن الخطاب داراً لمرضعته حُبَيّ، قبيل وفاته بعامين، إذ إن ذلك تم بعد مُقدم سعد من العراق إلى المدينة إثر عزل الخليفة عمر له عن ولاية الكوفة سنة 21 للهجرة⁷⁶.

هل حُبَيّ هي مرضعة عمر بن الخطاب؟

ولكن التدقيق في المعلومات السابقة يتطلب منا مزيداً من التأنّي في التعامل مع المعلومات التي بين أيدينا على قَلَّتْها، إذ كيف نتأكد من أن حُبَيّ مرضعة الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه هي ذاتها حُبَيّ المدنية التي نتحدث عنها؟

تبرز صعوبة الإجابة عن هذا التساؤل من شَحّ المعطيات «التاريخية» فيما يتعلق ببحثنا عن «حواء المدينة حُبَيّ»، ونكاد لا نجد من هذه المعلومات إلا في الرواية التي قدمها ابن عساكر في تاريخ دمشق عن مقتل الشاعر العذري هُدبة بن الخشرم⁷⁷.

فهذه الرواية أتاحت لنا إعادة تتبع طريق هُدبة إلى حتفه، ذلك أنه التقى في طريقه حُبَيّ المدنية.

نقرأ في تاريخ دمشق: «لما خُرج بـ «هُدبة» ليقاد منه بالحرّة جعل ينشد الأشعار، فقالت له حُبَيّ المدنية: ما رأيت أفسى قلباً منك، أتنشد الشعر

75- بيوت الصحابة، ص75.

76- تاريخ الطبري، ص685. وفي سنة 21 للهجرة ولّى عمر بن الخطاب عمار بن ياسر على الكوفة، وبعد وفاته آخر سنة 23 للهجرة أوصى عثمان بأن يولي سعد الكوفة إلى أن عزله هو الآخر سنة 26 للهجرة (الطبري، ص725)، فاستقر سعد بعدها في المدينة إلى أن توفي سنة خمس وخمسين، وقيل ثمان وخمسين للهجرة.

77- مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: 71/27-72.

وأنت يُمضى بك لنُقتل، وهذه «تعني امرأته» كأنها ظبّي عطشان تولول؟
فوقف، ووقف الناس معه. وأقبل على حُبّي فقال:

فما وجدت وجدي بها أمّ واحد ولا وجدَ حُبّي بابن أم كلاب
رأته طويل الساعدين شمردلاً كما انتعت من قُوّة وشبابٍ
فأغلقت حُبّي في وجهه الباب وسبّته»⁷⁸.

نعرف من هذه الرواية أن دار حُبّي كانت في المدينة على طريق الحرّة.

أين تقع الحرّة التي قُتل فيها هذبة؟

الحرّة. كما يقول ياقوت في معجم البلدان: أرض ذات حجارة سود نخرة
كأنها أحرقت بالنار (حجر بركاني). والحرار في بلاد العرب كثيرة، أكثرها
حوالي المدينة إلى الشام⁷⁹.

وفي حديث نبوي عن أبي هريرة: «فلو وجد الأطباء ما بين لابتيها ما دَعَرْتُها،
وجعل اثني عشر ميلاً حول المدينة حمى»، وفي صحيح مسلم حديث لجابر
عن الرسول صلى الله عليه وسلم: «إن إبراهيم حرّم مكة، وإنّي حرّمت
المدينة ما بين لابتيها، لا تقطع عِضاها ولا يُصاد صيدها». وفي حديث أبي
سعيد الخدري: «حرّمت المدينة حراماً ما بين لابتيها، أن لا يُهراق فيها دم،
ولا يحمل فيها سلاح لقتال، ولا يُخبط فيها شجرة إلا لعلف»⁸⁰.

78 مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: 72/27.

79- معجم البلدان: 245/2-246، راجع القاموس المحيط، شرح: الحرّ والحرّة: البثرة
الصغيرة. والعذاب الموحج. والظلمة الكثيرة. وموضع وقعة حنين، وع بتيوك، وبنقدة.
وبين المدينة والعقيق، وقبلي المدينة، وبيلاذ عبيس، وبيلاذ فزارة، وبيلاذ بني القين،
بالدّهناء، وبمالية الحجاز، وقرب قيد، وبيجال طين، وبأرض بارق، وبنجد قرب ضريّة،
وع لبني مرة، وقرب خيبر وهي حرّة النار، وبظاهر المدينة تحت واقم، وبها كانت وقعة
الحرّة أيام يزيد، وبالبريك في طريق اليمن، وحرّة غلاس ولبن ولفلج وشوران والحمارّة
وخفل وميطان ومغشّر ولبنى وعبار والرجلاء وقمّة: مواضع بالمدينة.

80- وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى: 188-189.

قال السمهودي مؤرخ المدينة: «ما بين لأبثتها». أي: حَرَّتِها، الشرقية والغربية، والمدينة بينهما، ولها أيضاً حَرَّةٌ بالقبلة وحَرَّةٌ بالشام، لكنهما يرجعان إلى الشرقية والغربية لاتصالهما بهما، ولهذا جمعها صلى الله عليه وسلم كلها في اللابتين، كما نبّه عليه الطبري. قال النووي: وهو حَدُّ الحرم من جهة المشرق والمغرب، وما بين جبليها: بيان لحده من جهة الجنوب والشمال⁸¹. (يقصد جبلي عير وثور).

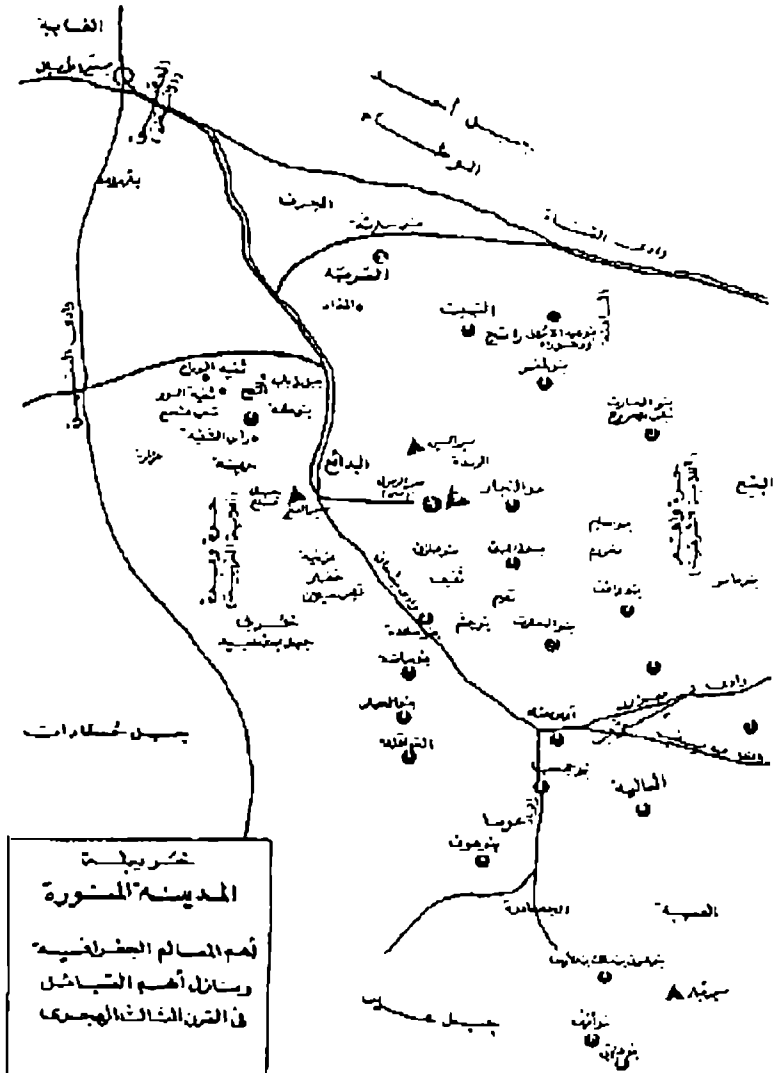
الملاحظ أن ابن عساكر ذكر الحرّة كاسم علم، ولم يحدد أي الحرار يعني رغم أن للعرب حراراً كثيرة ومعروفة والسبب في ذلك يعود إلى أن الحرّة المقصودة هي التي اشتهرت في التاريخ العربي بـ «وقعة الحرّة» سنة 63 للهجرة، وأصبح لها يوم شهري في تاريخهم، وللواقدي كتاب تسمى بها «الحرّة». يقول السمهودي إن هذه الحرّة هي: حرّة شرقي المدينة حدثت فيها وقعة الحرّة، حيث استباح يزيد بن معاوية أهل المدينة وقتل أهلها، ويقال لها: حرّة زهرة، وكانت الوقعة بموضع يعرف بواقم على ميل من المسجد النبوي⁸².

81- وفاة الوفا: 1/191.

82- راجع وفاة الوفا: 1/250، وأيضاً: 1/247، طبعة مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي: يذكر السمهودي أنه في هذه الوقعة قُتل قائد جيش يزيد ابن معاوية ألف وسبعمئة من بقايا المهاجرين والأنصار وخيار التابعين، وقتل من أخلط الناس عشرة آلاف سوى النساء والصبيان، وقتل بها من حملة القرآن سبعمئة رجل، وفي رواية ياقوت في معجم البلدان: 2/249: حرّة واقم: إحدى حرتي المدينة، وهي الشرقية، وفي هذه الحرّة كانت وقعة الحرّة المشهورة سنة 63 للهجرة حيث دخل جند يزيد المدينة فنهبوا واستباحوا الفروج، وحملت منهم ثمانمئة حُرّة وولدن، وكان يقال لأولئك الأولاد أولاد الحرّة، ثم أحضر أمير جيش يزيد «مسلم بن عقبة المري» الأعيان لمبايعة يزيد بن معاوية فلم يرض إلا أن يبايعوه على أنهم عبيد يزيد بن معاوية، فمن تلكأ أمر بضرب عنقه. وفي وفاة الوفا: 1/259: قال ابن الجوزي بسنده إلى المدائني، عن أبي قرّة، قال: قال هشام بن حسان: ولدت بعد الحرّة ألف امرأة من غير زوج. وفي لسان العرب، شرح «حرر»: الحُرَّةُ: أرض بظاهر المدينة بها حجارة سود كبيرة =

ولأن منزل حُبَيٍّ في الجهة الجنوبية الشرقية، فهذا يعني أن طريقه إلى
الحِرة الشرقية مرّ بدار حُبَيٍّ مرضعة الخليفة عمر بن الخطاب، وهو الذي
أثبتناه في المخطط التالي:

= كانت بها وقعة، وللمرب جرّارٌ معروفة ذوات عدد، حُرّة النار لبني سليم، وهي تسمى أم
صُبّار، وحُرّة ليلَى وحرّة راجِل وحرّة واقِم بالمدينة وحرّة النار لبني عَبَس وحرّة غَلّاس.



زوج حُبِّي

يقول الجاحظ: تزوجت حُبَيّ المدنية عبيد ابن أمّ كلاب، وهو فتى حدث⁸⁴، وكانت هي قد زادت على النّصف⁸⁵. بحسب الجاحظ فإن النساء إذا «اكتهلن وبلغت المرأة حدّ النّصف فعند ذلك يقوى عليها سلطانُ الشّهوة والحرص على الباء. فإنما تهيج الكهلة عند سُكون هيج الكهل وعند إدبار شهوته، وكرال حدّه»⁸⁶.

وهكذا فإن حُبَيّ عشقت وتزوجت، وهي تقارب الخمسين من عمرها، شاباً قوي البنية، فحلاً، اسمه عبيد بن سلمة الليثي، أو عبيد بن آدم، أو عبيد بن أم كلاب نسبة لأمه أم كلاب⁸⁷. وعبيد هذا تبخل المصادر التاريخية في تعريفنا به رغم اشتهاه قصة زواجه من حُبَيّ ودخول قصتهما في عالم القصص والشعر العربي، إضافة إلى ارتباط اسمه في المرويات العربية بقصة مقتل الخليفة عثمان.

عملية البحث عنه لا تقودنا إلا إلى نتف متناثرة هنا وهناك سنلتملها، لنكوّن صورة عن هذا الرجل الذي حاز اهتمام «حواء المدينة» في آخر أيامها،

84- الفتى: هو الشاب من كل شيء.

85- الحيوان. الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، 200/2، 75/6، النّصف، بالتحريك، المرأة بين الحدّة والسّنّة، والنّصف من النساء التي قد بلغت خمساً وأربعين ونحوها، وقيل: التي قد بلغت خمسين. (لسان العرب، شرح: نصف).

86- الحيوان: 534/3.

87- تهذيب الكمال، للمزي: 368/14، يذكره فيمن روى عن «عبد الله بن جعفر بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبو جعفر المدني الجواد ابن الجواد وأمّه أسماء بنت عميس الخثعمية».

وكان طلبها له بالزواج أقوى من أن يرفضه وهو الشاب الفحل المقبل على الحياة.

يقول ابن سعد في طبقاته: إن عبيد «سمع من عمر بن الخطاب، وهو عبيد بن سلمة الليثي، وهو الذي خرج من المدينة بقتل عثمان، فاستقبل عائشة بِسَرَفٍ فأخبرها بقتله وبيعة الناس لعلي بن أبي طالب، فرجعت إلى مكة. وكان عبيد علويًا»⁸⁸. ويذكر الحافظ ابن حجر العسقلاني في الإصابة عبيد بن أم كلاب بين أسماء من عاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يره، ويقول: «إن عبيد له إدراك ورواية». يضيف ابن حجر: كان عبيد يمدح عبد الله بن جعفر وحديثه عنه في تشميت العاطس⁸⁹.

وعبيد بن أم كلاب، برواية الطبري وابن الأثير، هو رجل من أحوال عائشة رضي الله عنها زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم، من بني ليث⁹⁰. وفي رواية الطبري⁹¹: عبيد بن أبي سلمة يعرف بأمه أم كلاب، وهو رجل من

88- طبقات ابن سعد: 90/7.

89- تعجيل المنفعة: 854/1 (هامش): «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا عطس حمد الله جل ذكره، فيقال له: يرحمك الله، فيقول: يهديكم الله ويصلح بالكم... يرويه عبيد بن أم كلاب عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه (ذي الجناحين).

90- الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ص406.

تزوج أبو بكر في الجاهلية أم رومان - بفتح الراء وضمها - واسمها زينب بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتاب بن أذينة بن سبيع بن دهمان بن الحارث بن غنم بن مالك بن كنانة، وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «من سره أن ينظر إلى امرأة من الحور العين فلينظر إلى أم رومان»، ولدت له عائشة رضي الله عنها التي تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة، في شوال سنة عشر من النبوة، قبل الهجرة بثلاث سنين، وهي بنت ست أو سبع، وبنى بها بالمدينة على رأس سبعة أشهر من الهجرة، وهي ابنة تسع سنين، وتوفي عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي بنت ثمان عشرة سنة وكانت أحب النساء إليه. (نهاية الأرب في فنون الأدب).

91- تاريخ الرسل والملوك، ص799. (وفي رواية: أن الذي لقي عائشة بعد مقتل عثمان وأخبرها بمقتله عند عودتها لمكة اسمه أخضر، ومنه المثل: «أكذب من أخضر»).

أخوال عائشة من بني ليث⁹² وكانت واصلة لهم، رفيقة عليهم. وهو الذي أخبر عائشة رضي الله عنها بمقتل الخليفة عثمان بن عفان.

ويلقي ابن حجر في تعريفه بـ «عبيد» الضوء على وجه جديد لـ «حُبَيٍّ» إذ نجده في هذه الرواية يقول إن حُبَيٍّ كانت مغنية مشهورة في المدينة، ولعبيد المذكور قصة مع حُبَيٍّ المدنية المغنية المشهورة. وكانت راغبة في تزوجه مع كبر سنهما وهو شاب. فاشترط عليها شروطاً ودخل بها، (ولم نخبرنا المصادر التي بين أيدينا عما كانت عليه تلك الشروط). وذكر ابن الكلبي شعراً لعبيد كان يخاطب فيه أم المؤمنين عائشة⁹³. (سنورده أدناه نقلاً عن الطبري).

كان عبيد يروي عن عبد الله بن جعفر، وروى عنه أبو الأسود محمد بن عبد الرحمن بن نوفل المدني تيم عروة. وروى له الطبراني، وأحمد، وأبو جعفر الطحاوي⁹⁴.

92 راجع سب قحطان وعدنان. للبرّد، ص4، وفيه: «بنو ليث: من بطون بكر بن عبد مناة ومن بطون بنو ليث: بنو سعد بن ليث، وبنو جندع بن ليث رهط نصر بن سيار، وبنو يعمر الشداخ. وأيضاً (معجم قبائل العرب، ص3/1019): ليث بن بكر: بطن من كنانة ابن حزيمة، من العدنانية، وهم: بنو ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن حزيمة بن مدركة ابن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. يتفرع عنهم بنو الملوح بن يعمر، وهو الشداخ. كانوا يقيمون حول مكة، يسكنون ينبع، ويقيمون بساقية قلعة من بلاد صعيد مصر.

93 تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة: 1/854 855.

94 مفاتيح الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار: 2/288، وراجع أيضاً: «حواشي مختصر مفاتيح الأخيار» للشيخ تراب رشد الله شاه السندي، و«تعجيل المنفعة» لابن حجر. والإصابة في معرفة الصحابة، 5/103 وفيه: «أخرج أحمد في الزهد حديثاً عن عمر يقول: لا يعجبكم طنطنة الرجل، ولكن من أدى الأمانة وكف عن أعراض الناس فهو الرجل». والحديث يروي عن عبيد بن أم كلاب أنه سمع عمر وهو يخطب...

وله حديث نقله البخاري في التاريخ الكبير: محمد بن خوط. قال لي إبراهيم بن المنذر عن عباس بن أبي شملة سمع محمداً عن عيسى بن التميمي الزرقعي عن عبد العزيز بن علي بن هبار عن ابن أم كلاب أنه جاء المسجد فوجد ابن الخطاب على المنبر يقول: سيتكلم من بلدكم هذا أقوام فمظوهم، فإن أبوا فاسجنوهم، فإن أبوا فاضربوا =

عبيد الفارس

ونستطيع أن نستخلص من شعر هدية بن الخشرم أن الشاعر والراوي عبيد بن سلمة الليثي الذي هامت به حواء المدينة حُبِّي وعشقتة، كان فارساً طويلاً، صاحب قوام حسن، محارباً قوياً، حسن الخلق، هذه الصفات صورها لنا هدية بأجمل صور الشعر العربي⁹⁵ بقوله يخاطب امرأته:

وَجَدْتُ بِهَا مَا لَمْ تَجِدْ أُمَّ وَاحِدٌ وَلَا وَجَدَ حُبِّي بَابِنَ أُمِّ كِلَابٍ
رَأَتْهُ طَوِيلُ السَّاعِدِينَ شَمَرْدَلًا كَمَا تَشْتَهِي مِنْ قُوَّةٍ وَشَبَابٍ

ويروى الشطر الأول من البيت الثاني: «رأته طويل الساعدين عنطنطاً»⁹⁶.

ويفهم من تمرس العرب بشؤون الحرب والقتال لماذا يكون وصف «طول الساعدين» مدحاً للرجل، لأنه يحقق بذلك شرطاً أساسياً وهو أن صاحب اليدين الطوليتين يصل إلى عدوه دون أن يمكّن عدوه منه. أما «الشمردل» فهو القوي السريع القتيّ الجلد، الحسن الخلق. ويقال للجمل: شَمَرْدَلٌ.

= أعناقهم بالسيف، يا ليتني لها عمر، كأنه يعني القدرية.

وفي تهذيب العمال 143/14: عن عبيد بن آدم قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لكعب رضي الله عنه: أين ترى أن أصلي؟ إن أخذت عني صليت خلف الصخرة فكانت القدس كلها بين يديك. فقال عمر: ضاهيت اليهودية، لا، ولكن أصلي حيث صلى النبي صلى الله عليه وسلم. فتقدم إلى القبلة فصلّى (ثم جاء فيسط رداءه فكس الكناسة في ردائه وكس الناس). أخرجه الإمام أحمد في مسنده 38/1، وما بين الحاصرين استدراك منه. (راجع كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال).

الخصائص الكبرى للسيوطي، ص 54: أخرج ابن عساكر عن عبيد بن آدم وأبي مريم وأبي شعيب بن عمر أن عمر بن الخطاب كان بالجابية فقدم خالد بن الوليد إلى بيت المقدس فقالوا له: ما اسمك؟ قال: خالد بن الوليد. قالوا: وما اسم صاحبك؟ قال: عمر بن الخطاب. قالوا: أنعمت لنا. فتمته. قالوا: أما انت فلست تفتحها ولكن عمر، فإننا نجد في الكتب كل مدينة تفتح قبل الأخرى وكل رجل يفتحها نمته. وإنا نجد في الكتاب أن قيسارية تفتح قبل بيت المقدس فاذهبوا فافتحوها ثم تعالوا بصاحبكم.

95- ديوان هدية بن الخشرم، ص 78-79.

96- تمجيد المنفعة: 855/2.

و«العنطنت» هو الطويل من الرجال، ويستخدم وصفاً لـ «طَوْلُ العُنُقِ وحُسْنُهُ».

عبيد الشاعر

نادرة هي الأشعار التي عثرنا عليها لزوج حواء المدينة، منها بيت يرويه التوحيدي في البصائر والذخائر لابن أم كلاب⁹⁷، يقول فيه:

صَفَا صَلْدَةٌ عِنْدَ النَّدَى وَنَعَامَةٌ

إِذَا الْحَرْبُ أَبَدَتْ عَنْ نَوَاجِذِهَا الثَّلْ

لكن أشهر شعر عبيد هو ما قاله بحق عائشة أم المؤمنين، فعبيد كما ذكرنا يرتبط ذكره في التراث العربي بواحدة من أشهر المرويات العربية التي شكلت مفصلاً أساسياً في التاريخ الإسلامي، وهي حادثة طلب الثأر لدم الخليفة عثمان.

تقول أحداث المروية كما يرويها الطبري في تاريخه⁹⁸: لما انتهت عائشة رضي الله عنها إلى سرف⁹⁹ راجعة في طريقها إلى مكة، لقيها عبد بن أم كلاب وهو عبد بن أبي سلمة¹⁰⁰ ينسب إلى أمه، فقالت له: مهيم¹⁰¹؟ قال:

97 البصائر والذخائر. 174/3، لأبي حيان التوحيدي. تذكر محققة الكتاب أن الأصفهاني في كتاب الأغاني يروي البيت لابن ميادة في هجاء أيوب بن سلمة.

98 تاريخ الرسل والملوك. ص 803. أحداث سنة 36، والكامل في التاريخ لابن الأثير، ص 406. سند الخبر كما يقول الطبري على الشكل التالي: كتب إلي علي بن أحمد بن الحسن العجلي أن الحسين بن نصر العطار قال: حدثنا أبي نصر بن مزاحم العطار قال: حدثنا سيف بن عمر عن محمد بن نويرة وطلحة بن الأعمى الحنفي قال: وحدثنا عمر بن سعد عن أسد بن عبد الله عمّن أدرك من أهل العلم «ثم رواه».

99 موضع من مكة على عشرة أميال. وقيل: أقل وأكثر، وفي الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة بسرف. (راجع سرف، لسان العرب).

100- هكذا ذكر اسمه الطبري عبد وليس عبيد كما في طبقات ابن سعد.

101- مَهَيْمٌ: كلمة يمانية معناها: ما أمرك؟ وما هذا الذي أرى بك؟ ونحو هذا من الكلام: قال الأزهرى: ولا أعلم على وزن مَهَيْمٌ كلمة غير مَرَيْمٍ. الجوهري: مَهَيْمٌ كلمة يستفهم بها، معناها: ما حالك؟ وما شأنك؟ (راجع مهيم، لسان العرب).

قتلوا عثمان رضي الله عنه. فمكتوا ثمانياً. قالت: ثم صنعوا ماذا؟ قال: أخذها أهل المدينة بالاجتماع. فجازت بهم الأمور إلى خير مجاز. اجتمعوا على علي بن أبي طالب. فقالت: والله ليت أن هذه انطبقت على هذه إن تم الأمر لصاحبك! ردوني ردوني. فانصرفت إلى مكة. وهي تقول: قتل والله عثمان مظلوماً، والله لأطلين بدمه. فقال لها ابن أم كلاب: ولم؟ فوالله إن أول من أمال حرفه لأنت! ولقد كنت تقولين: اقتلوا نعتلاً فقد كفر، قالت: إنهم استتابوه ثم قتلوه، وقد قلت وقالوا، وقولي الأخير خير من قولي الأول، فقال لها ابن أم كلاب:

فمنك البداء ومنك الغير	ومنك الرياح ومنك المطر
وأنت أمرت بقتل الإمام	وقلت لنا إنه قد كفر
فهينا أطعنك في قتله	وقاتله عندنا من أمر
ولم يسقط السقف من فوقنا	ولم ينكسف شمسنا والقمر
وقد بايع الناس ذا تُدْرَأ ¹⁰²	يزيل الشباب ويقيم الصفر
ويلبس للحرب أثوابها	وما من وفي مثل من قد غدر

فانصرفت إلى مكة، فنزلت على باب المسجد فقصدت للحجر. فسترت واجتمع إليها الناس، فقالت: يا أيها الناس إن عثمان رضي الله عنه قتل مظلوماً، والله لأطلين بدمه.

دار أم كلاب

وأسطورة أحجار الزيت واهراق الخمر

ترتبط دار والدة زوج حُبَى واسمها «أم كلاب»، بمرويتين عربيتين فريدتين

102- التدرأ: القوي على دفع أعدائه عن نفسه، يقال: إنه لَدُوْ تَدْرَأُو وذُو تَدْرُو إذا كان هَجْماً على أعدائه من حيث لا يحتسبون: المَدْرَةُ: السيد الشريف، سمي بذلك لأنه يقوى على الأمور ويَهْجُم عليها، مشتق من ذلك. (راجع شرح دري في مقاييس اللغة، ودره في لسان العرب).

لا بد من الوقوف عندهما، الأولى تسمى بحادثة «أحجار الزيت»، والثانية تسمى بحادثة «إهراق الخمر».

يقول ابن شبة: إن دار عبيد ابن أم كلاب هي دار أمه، أم كلاب، ونسبه يعود لها، وتقع تلك الدار في المدينة في بني زريق وكانت شارعة على المصلى، قبالة أحجار الزيت، قريبة من دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي¹⁰³.

صحيح أن مؤرخي المدينة اختلفوا في تحديد موضع أحجار الزيت، لكن ما يهمنا من موضوعها هو دلالاتها الرمزية وارتباطها بدار «أم كلاب». فأحجار الزيت تلك اشتهرت في التاريخ الإسلامي، يُقال، والكلام لمؤرخ المدينة السهمودي: إن الزيت رشح للنبي منه، وهو موضع صلاة الاستسقاء. وينقل السهمودي عن ياقوت أيضاً أن موضع أحجار الزيت كان موضعاً كانت فيه أحجار علت عليها الطريق فاندفت، وقال ابن جبير: هو حجر موجود يزار¹⁰⁴.

103 وفاء الوفا: 3/75 89 100، تاريخ المدينة لابن شبة: 1/245.

104- وفاء الوفا: 4/114-115، تاريخ المدينة: 1/307، رواه ابن شبة في فصل ذكر أحجار الزيت، التي روى قصتها: حدثنا خلاد بن يزيد قال: حدثنا حماد بن زيد، عن أبي عمران الجوني، عن المشعث بن طريف، عن عبد الله بن الصامت، عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أبا ذر. قلت: لبيك وسعديك، يا رسول الله. قال: كيف أنت إذا رأيت أحجار الزيت قد غرقت في الدّم؟ قلت: ما خار الله لي ورسوله. قال: عليك بمن أنت معه. حدثنا محمد بن يحيى قال: أخبرني أبو ضمرة الليثي، عن عبد الرحمن بن الحارث بن عبيد، عن هلال بن طلحة الفهري: أن حبيب بن مسلمة الفهري كتب إليه: أن كعباً سألني أن أكتب له إلى رجل من قومه عالم بالأرض. فلما قدم كعب المدينة جاءني كتابه ذلك، فقال: أعالم أنت بالأرض؟ قلت: نعم. قال: إذا كان بالغداة فاعُدْ عليّ. قال: فجئته حين أضحت، فقال: أتعرف موضع أحجار الزيت؟ قلت: نعم - وكانت أحجاراً بالزوراء يضع عليها الزياتون رؤايتهم - فأقبلت حتى جئتها فقلت: هذه أحجار الزيت. فقال كعب: لا والله ما هذه صفتها في كتاب الله، انطلق أمامي، فإنك أهدى بالطريق مني. فانطلقنا حتى جئنا بني عبد الأشهل. فقال: يا هلال، إني أجد هنا أحجار الزيت في كتاب الله، فصل القوم عنها - وهم يومئذ واهرون - فسألتهن عن أحجار الزيت، وقال: إنها ستكون بالمدينة ملحمة عندها.

ويميز السمهودي بين موضعين، الأول: قريب من الزوراء¹⁰⁵ وكان الرسول يستسقي عنده ويدعو باسطاً كفيه. والثاني: الذي عنى به كعب الأخبار بمنازل بني عبد الأشهل بالحرة (حرة واقم)، وبه كانت واقعة الحرة، وقد تنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن هذه أحجار الزيت ستغرق بالدم¹⁰⁶. وهناك رواية يجمع فيها مؤرخ المدينة السمهودي ذكر أحجار الزيت وإهراق الخمر، فيقول: روى ابن زباله من طريق جعفر بن محمد عن أبيه. قال: أمر رسول الله برواية الخمر التي أهدى له الدوسي فأهريقته بالسوق عند بيت أم كلاب حيث يُهراقُ الشراب اليوم¹⁰⁷. وعن ابن شبة ينقل السمهودي: «حدثنا محمد بن يحيى، عن ابن أبي فديك قال: أدركت أحجار الزيت ثلاثة مواجهة بيت ابن أمّ كلاب، وهو اليوم يعرف ببيت بني أسد. فعلا الكبس الحجارة فاندفتت»¹⁰⁸.

ارتباط أحجار الزيت، وإهراق الخمر، بدار «أم كلاب» يطرح تساؤلات عدة حول العلاقة الرمزية التي تربط هذه الدار بأحجار الزيت وإراقة الخمر على عتباتها، سيما أن الربط بين الزيت والخمر ليس محض مصادفة

105 الوفا بأخبار دار المصطفى: 310/4، الزوراء: سوق المدينة عند أحجار الزيت، وقيل الزوراء اسم لسوق المدينة. وفي صحيح مسلم عن أنس: أن نبي الله وأصحابه كانوا بالزوراء، والزوراء بالمدينة عند السوق. ويؤخذ من وصف دار السوق التي أحدثها ابن هشام: أن لعثمان بالشرق داراً تسمى الزوراء، ولدا قال ابن شبة: واتخذ عثمان الدار التي يقال لها الزوراء. انتهى. يقول السمهودي. ويؤخذ مما تقدم في فضل بقيع الغرقد: أن الزوراء أيضاً: اسم للموضع الذي دفن فيه سيدنا إبراهيم عليه السلام (311/4)، وفي المغامم المطاية، ص 173: الزوراء موضع بالمدينة عند السوق. وقيل أرفع دار بالمدينة قرب المسجد، واسم دار عثمان بن عفان رضي الله عنه، وحد البلاط الغربي: ما بين المسجد إلى خاتم الزوراء عند دار العباس بن عبد المطلب بالسوق. (الوفا: 68/1).

106- وفاة الوفا: 115/4.

107 تاريخ الوفا: 89/3، أخبار المدينة لابن زباله، ص 243. (هامش المحقق: في سنن الدارمي 256/2 البيهقي: أن هذا الحديث في مكة. قال: فأمر بها فأفرغت في البطحاء).

108- وفاة الوفا: 89/3 - 114/4، تاريخ المدينة: 307/1.

في الفكر الديني، فهما وثيقا الصلة والارتباط في الطقوس الدينية منذ الجاهلية وامتد ذلك في طقوس المسيحية منذ نشأتها حتى اليوم، ونجد أبرز تجليات هذه القدسية في المسيحية واضحة عندما جعل المسيح من الخمر دمه وارتبط اسمه بمسح الزيت، ثم إن الزيت والخمر ارتبطا ارتباطاً وثيقاً بـ «الحجر»، وهذا يؤكد أن طقوس تقديس الحجر امتدت من الجاهلية إلى الإسلام. ففي المدينة المنورة كان تقديس الحجر الأسود ركن الكعبة المشرفة في مكة. وأيضاً في المدينة نجد تقديس أحجار الزيت التي رشح منها الزيت لرسول الله عندما كان يستسقي المطر، وتحولها إلى مزار لاحقاً، ولا يغفى البعد الرمزي لعلاقة الزيت بالخصب.

وإذا كانت قدسية أحجار الزيت في المدينة ارتبطت في الإسلام بعادته رشح الزيت منها للرسول واستسقائه عندها ورؤية غرقها بالدم ثم جعلها مزاراً، فإن لها على الأرجح قبل الإسلام أهمية رمزية، وارتباطهما بـ «أم كلاب» يتيح لنا التساؤل عما إذا كانت «أم كلاب» كاهنة من كاهنات الجاهلية؟ وهل كانت «أم كلاب» تترأس طقوس «إهراق الخمر والزيت» على العتبة كجزء من ممارسات طقسية قديمة؟ ويبدو أن «إهراق الخمر» لم يكن مجرد حادثة فريدة جرت مرة واحدة، وإنما كان طقساً من طقوس الجاهلية استمر في الإسلام، وهو ما نجده في تاريخ ابن زبالة الذي شهد مثل هذا الطقس، وإن اختلف معناه. يقول ابن زبالة - المتوفى سنة 199 للهجرة - مشيراً إلى دار أم كلاب قائلاً: «بيت أم كلاب حيث يهرق الشراب حتى اليوم»، فلماذا كان يراق الخمر عند عتبة بيت أم كلاب حتى في الإسلام؟

وهنا نقول إن القيمة الدينية لأحجار الزيت في المدينة، أياً كان موقعها تجلت في الإسلام في استسقاء الرسول ودعائه عندها، وقبلاتها أمر بإراقة الخمر، ثم في وقت لاحق أصبحت مزاراً، وقربها تحققت نبوءة الرسول في معركة الحرّة بأن أحجار الزيت ستغرق بالدم، وهذا ما حصل عندما دخل يزيد بن معاوية المدينة وفتك بأهلها.

فهل تتيح لنا هذه الرؤية بأن نعتبر طقس إهراق الخمر طقساً رمزياً ساد في المدينة، وهي المجتمع الزراعي المستقر، كي تبقى المدينة بمنأى عن الحروب والغزوات التي تغذي حياة البداوة، أو أنه كان طقساً من طقوس الخصب المقدس التي كانت سائدة قبل الإسلام، واستمر إلى فترات متقدمة في الإسلام؟¹⁰⁹

حُبِّي الحكيمة

إذا كانت كتب التراث تبخل علينا في أخبار «أم كلاب»، إلا أننا نتساءل: هل لعشق حُبِّي ابن أم كلاب علاقة ما بمكانة أمه في مجتمع الجاهلية أو بذاكرة المدينة، ثم بالدور الذي لعبته حُبِّي في مجتمع المدينة؟ خاصة أن بعض المصادر تظهر حُبِّي على أنها حكيمة من حكيما العرب.

حدثنا أحمد، ثنا أبو بكر بن أبي الدنيا، ثنا محمد بن سعد، ثنا الواقدي عن ابن أبي سبرة قال: قيل لحُبِّي المدينة¹⁰⁹:

ما الجرح الذي لا يندمل؟¹¹⁰

قالت: حاجة الكريم إلى اللئيم ثم يردّه¹¹¹.

قيل لها: فما الدُّل؟

قالت: وقوف الشريف بباب الدني ثم لا يُؤذن له.

109- المجالسة وجواهر العلم، للدينوري القاضي: 378/2، والدينوري هو الوحيد الذي أورد رواية حُبِّي مسنداً الرواية إسناداً جيداً، وفي أخبار النساء لابن طيفور فصل أخبار ذوي الرأي والظرف يسند الرواية لإسحق الموصلي، لكنه لم يذكر «ما الدُّل؟»، رسائل الجاحظ: 72/2، عيون الأخبار لأبي قتيبة الدينوري: 139/3، التذكرة الحمدونية 199/8-322، توضيح المشتبه، ص 398. وفي المستطرف من كل فن مستطرف: 65/2، «قيل لأعرابي: ما السقم الذي لا يبرأ والجرح الذي لا يندمل؟ قال: حاجة الكريم إلى اللئيم». طبعة دار الطباعة السنوية 1285 هـ، وردت بالصيغة ذاتها في ربيع الأبرار للزمخشري: 186/3.

110- وفي رواية ترد: «ما السقم الذي لا يبرأ، ما الجرح الذي لا يندمل؟».

111- وفي رواية: «لا يُجدي عليه، بدل «ثم يردّه».

قيل لها: فما الشُّرف؟

قالت: اعتقادِ المنِّ في أعناق الرجال، تبقى للأعقاب في الأعقاب¹¹².

ولا يخفى أن طقوس الخصب المقدس، ارتكزت على معاهاة بين خصب المرأة، وخصب الأرض، بين خصب الرجل، وخصب السماء. لذلك فالطقوس التي كانت تمارس في الجاهلية كانت تحفيزاً لخصب الأرض وخصب المرأة. ومن هنا يمكن أن نجد تفسيراً طقسياً لمكانة مدرسة حُبَّى في مجتمع المدينة، وإن كانت تلك الطقوس لم تستمر زمن حُبَّى، إلا أنها بكل تأكيد كانت تشكل امتداداً في تعاليمها لفنون الحب، كما سنلاحظ لاحقاً.

112- وفي رواية: «لأعقاب في الأحقاب». والصحيح ما أثبتناه، لم ترد في مجالسة الدينوري.

رسولات الحب

نتذكر من مروية الجاحظ والبلاذري في فصل «سقيفة حُبَّى» أن حُبَّى هي التي «كانت رسول الحب» بين عائشة بنت طلحة ومصعب بن الزبير وغيرهما من أشراف نساء المدينة ورجالها، لكن خلطاً مثيراً للاستغراب يبرز في مروية أخرى ينحصر فيها ذكر «عائشة بنت طلحة ومصعب بن الزبير» نقلها ابن عساكر في تاريخه، وأبو الفرج الأصفهاني في أغانيه. يقول ابن عساكر في رواية أسندها إلى أبي مسلم عبد الله بن مسلم عن أبيه عن مشايخه: «وجه مصعب بن الزبير إلى عَزَّة المدينة - مولاة نَهْز - وكانت من أعقل النساء، فأنته، فقال: يا عَزَّة، قد اعتزمت على تزوج عائشة - يعني ابنة طلحة - وأنا أحب أن تصيري إليها متأمة لخلقها، مؤدية لخبرها...»¹¹³ (إلى آخر المروية).

وفي الأغاني ينقل أبو الفرج الرواية عن صالح بن حسان أن عزة الميلاء هي التي زوجت مصعب من عائشة.

تشير كل خيوط البحث في المرويات السابقة إلى أن «حُبَّى المدينة الشهيرة بجواء» هي التي زوجت مصعب من عائشة ويبدو أن ابن عساكر ورواته، وأبو الفرج الأصفهاني خلطوا في «رسولة الحب»، لأن الاهتمام على ما يبدو كان منصباً على ذكر عائشة ووصف جمالها وليس مهماً ذكر

113- مختصر تاريخ دمشق: 173/20، وأما لي يموت ابن المزرع - ابن أخت الجاحظ، فصل النوادر والملح، التحميل من مكتبة الوراق. ويموت بن المزرع ابن يموت بن عيسى: هو العلامة الأخباري أبو بكر العبدي البصري الأديب، واسمه: محمد. سكن طبرية مدة. وحدث عن: خاله الجاحظ، وغيره. مات سنة أربع وثلاثمئة للهجرة. (راجع سير أعلام النبلاء، الذهبي: 247/14).

الواصفة. لكن هذا الأمر مختلف في بحثنا. لأننا في كتابنا هذا نبحث عن لُغز حواء المدينة حُبِّي. هذه المرأة التي ألصق فيها الرواة العرب تناقضات عجيبة وألبسوها ثوب المرأة الحكيمة حيناً وثوب العاهرة المبتذلة حيناً آخر. لكن نظرة موضوعية إلى هذه المرأة ستزيل اللبس عن شخصها، لنعرف أنها كانت صاحبة مدرسة جنسية عكست انفتاحاً اجتماعياً وعقلياً مثيراً للدهشة في ثقافة جزيرة العرب، وكانت بكل جدارة «رسولة الحب» تقرب بين العشاق. وتلهب مشاعر الحب بين الأحباب بتعليمهم فنون الحب.

تناقض روايتي ابن عساكر والأصفهاني يمكن أن نزله ببساطة. إذا ما علمنا أن عزة هذه اشتهرت في كتب التراث بالتمايل في مشيتها لا بانتسابها للمدينة، في حين أن حُبِّي اشتهرت بـ «المدنية».

والأصفهاني بنفسه وابن خرداذبة في كتابه «الاهو والملاهي» يقولان إن: «عزة الميلاء اشتهرت بهذا الاسم لتمايلها في مشيتها»، فكان التمايل والتفنج في المشية علامة فارقة لهذه المرأة بين الرواة.

الخلط بين عزة الميلاء وحُبِّي مفيد للباحث، لأنه يشكل مبرراً قوياً للاستنتاج بأن دور «رسولة الحب» لم يقتصر على حُبِّي في ذلك العصر، وإن كانت هي الأبرز في هذا المجال، فعزة الميلاء كان لها على ما يبدو الدور ذاته. ولا ننسى أيضاً ما قاله ابن طيفور نقلاً عن صالح بن حسان من أن معلمة حُبِّي كانت سعدى بنت الحارث، فمهمة هؤلاء النسوة لم تأت من فراغ وإنما من تراث عديد تواصل على مدى السنين.

عزة الميلاء

كانت عزة مولاة للأنصار ومسكنها المدينة، وهي أقدم من غنى الفناء الموقَّع من النساء بالحجاز¹¹⁴، وكانت من أجمل النساء وجهاً، وأحسنهن جسماً،

114 قال الأصفهاني: كانت تنني أغاني القيان من القدائم مثل سيرين أخت مارية القبطية سرية رسول الله والدة ابنه إبراهيم، وهي أمة أعطاهها الرسول للشاعر حسان بن =

وسميت الميلاء لتمايلها في مشيها، قال إسحق: وقال الزبير: إنه وجد مشايخ أهل المدينة إذا ذكروا عزة قالوا: لله درها! ما كان أحسن غناءها، ومد صوتها. وأندى حلقها، وأحسن ضربها بالمزاهر والمعازف وسائر الملاهي، وأجمل وجهها، وأظرف لسانها، وأقرب مجلسها، وأكرم خلقها، وأسخى نفسها، وأحسن مساعدتها¹¹⁵...

وقال طويس: إن عزة كانت مع جمال بارع وخلق فاضل وإسلام لا يشوبه دنس. تأمر بالخير وهي من أهلها. وتنهى عن السوء وهي مجانبة له. فتأهيك ما كان أنبلها وأنبل مجلسها¹¹⁶...

قال إسحق، وذكر لي عن صالح بن حسان الأنصاري، قال: كانت عزة مولاة لنا. وكانت عفيفة جميلة. وكان عبد الله بن جعفر وابن أبي عتيق¹¹⁷، وعمر

ثابت فكانت أم ابنه عبد الرحمن. (الأغاني: 12/16 - 14/4).

وعن ابن عباس قال: مرّ النبي صلى الله عليه وسلم على حسان بن ثابت، وهو في ظل فارغ. وحوله أصعابه وجاريته سيرين تقني بمزهرها:

هل علي ويحكما إن لهوت من حرج

فضحك النبي صلى الله عليه وسلم. ثم قال: لا حرج إن شاء الله. (الأغاني: 10/161).
بضيف الأصفهاني: كما غنت عزة لزرب وخولة والرباب وسلمى ورائقة. وكانت رائقة أستاذتها. فلما قدم نشيط وسائب خاثر المدينة غنيا أغاني بالفارسية. فلقنت عزة عنهما نغماً وألفت عليها ألحاناً عجيبة... وقيل أيضاً: إنها أخذت الغناء عن سيرين أخت مارية القبطية. (راجع الأغاني: 12/16، والجواري والقيان، ص15).

وكان ابن سريج، أول من ضرب بالعود في الغناء العربي بمكة، في حادثة سنة يأتي المدينة ويسمع من عزة ويتعلم غناءها ويأخذ عنها... وابن سريج في رواية الأصفهاني أمه رائقة. وهي التي قيل إنها إستاذة عزة. وقيل: بل أمه هند أخت رائقة... وكانت رائقة مولاة لآل المطلب... ثم قيل: إنه مولى بني المطلب بن حنطب... (الأغاني: 1/95 و 12/16).

115 الأغاني: 12/16، 13.

116 الأغاني: 10/51-52-53. راجع أيضاً: أعلام النساء 278/3.

117 وهو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق... أنساب الأشراف للبلاذري: 1/421.

بن أبي ربيعة يغشونها في منزلها، وكان حسان بن ثابت معجباً بعزة الميلاء وكان يقدمها على سائر قيان المدينة... وغنت مرة شعراً لحسان «فطرب حسان وجعلت عيناه تتضحان وهو مصّغ لها»¹¹⁸. وتوفيت عزة الميلاء نحو سنة 15 للهجرة¹¹⁹.

ولعظم شأن عزة لم يورد أبو الفرج الأصفهاني ذكرها في كتابه «القيان» رغم أن دار الفناء الخاصة بها كانت شهيرة وذكرها في أغانيه، وهذا يدفعنا إلى الاستنتاج أن مكانتها كانت أعلى من مكانة القيان في المدينة، بل إن أحد كبار المغنين في الحجاز، وهو إسحق بن إبراهيم الموصلي، الذي كتب عدة كتب في أخبار «قيان الحجاز»، أفرد لها مؤلفاً خاصاً أسماه «أخبار عزة الميلاء» ذكره ابن النديم في فهرسته. كما أن سليمان بن أيوب المديني ألف كتاباً عنها حمل الاسم ذاته¹²⁰.

ليس هذا فحسب وإنما يبرز الأصفهاني في أغانيه المكانة المرموقة التي شغلها عزة في مجتمع المدينة، فهو ينقل عن الحسين بن يحيى، قال: قال أبي حدثت عن صالح بن حسان، قال: كان بالمدينة امرأة حسناء تسمى عزة الميلاء. يألفها الأشراف وغيرهم من أهل المروءات، وكانت من أظرف الناس وأعلمهم بأمور النساء¹²¹.

إذاً، كانت عزة مغنية أتقنت صنعتها، وكانت من أجمل النساء، جمعت إلى جانب دلالها ومشيتها اللافتة، العفاف وسخاء النفس وكرم الأخلاق. وإلى جانب كونها معلمة لأشهر مغني المدينة، فإنها كانت من أعلم الناس بأمور النساء.

118- الأغاني: 13/16.

119- راجع هامش محقق كتاب القيان، ص66.

120- الفهرست، ص158-165، تحقيق: رضا تجدد، طهران 1971.

121- راجع أخبارها في الأغاني: 53-52-51/10، أيضاً: أعلام النساء 278/3.

رسولات الحب

نلاحظ أن الخطوط العريضة التي رسمها الرواة لشخصية عزة جاءت قريبة من رسم شخصية حُبَي. وتتبع سيرة هاتين المرأتين تجعلنا نقول: إن مسألة تنظيم العلاقات بين الرجل والمرأة، وتعليمهما فنون الجماع، كانت في يد نساء خبيرات ملّمات بكل تفاصيل العلاقة بين الجنسين، هؤلاء النسوة «المعلّمات للجنس» اضطلمنَّ بوظيفة إنسانية كُنَّ يؤديها في مجتمعي المدينة ومكة، لدرجة أن الأشراف وعلية القوم وحتى الناس العاديين فتياناً وفتيات، نساءً ورجالاً، كانوا يلجؤون إليهن ليتعلموا منهن فنون الحب من جانب، ومن جانب آخر فقد كنَّ «رسولات» لهم/لهن في شؤون الزواج والحب والعشق، ولم ينقص «رسولات الحب» هؤلاء الفراسة والملكة اللغوية ودقة الملاحظة والخبرة، في أداء مهمتهن.

وكما ذكرنا عن مكانة عزة، نجد الأمر ذاته عن مكانة حُبَي المدينة، فهي كما قال ابن حجر العسقلاني كانت «مغنية مشهورة»¹²² رغم أن شهرة حُبَي في عالم الغناء لم نجد لها إلا لديه، وقال الجاحظ إنه: «لم يكن بالمدينة شريف ممن يجلس في سقيفتها إلا واصل إليها في السنة ثلاثين وسقاً وأكثر من طعام وتمر، مع الدنانير والدراهم، والخدم والكساء»، وقوله أيضاً أن حُبَي العاملة بأمور النساء كانت «تعلم نساء المدينة» أوضاع الجماع، و«كانت لها سقيفة تتحدث إليها رجالات قريش».

مناقشة الدور الذي كانت تضطلع به حُبَي وسقيفتها، التي كانت أشبه بـ «مدرسة» يجلس في فنائها مريدوها على اختلاف أعمارهم، يعطي قيمة إضافية لدور النساء في الجاهلية، فإضافة إلى الدور الذي كانت تلعبه «دور الغناء» و«دور البغايا» و«دور الكاهنات» و«حكيمات العرب» فإن دور «سقيفة العارقات بأمور الباه»، التي كانت «سقيفة حُبَي» من أشهرها عند العرب، لا ينفصل عن الدور الهام الذي اضطلعت به نساء العرب.

122- تعجيل المنفعة: 854/1-855.

كان هناك قواعد عمل واضحة تمارسها هؤلاء النسوة الخبيرات من خلالها عملهن، منها مثلاً أن حُبِّي طلبت من عائشة «أن تخلع ملابسها» وتسير أمامها، وكذلك فعلت مع باقي النسوة. وبالأساس لجأ إليها رجالات قریش، لأنها عالمة بأمور النساء»، ثم قامت حُبِّي بوصف النساء لعشاقهن، وجعلت تقوم بمقاربة بين الرجل وعروسه حتى إنها تخيلت عروس ابن الصديق فوقه وهي تراقبها عارية. ولاحظت أن صدر عروسه الضيق وعظم صدره لا يتناسبان ولا يحسن في مثل هذه الحالة إلا من يملأ المنكبين أو بعبارة الأغاني «حتى يملأ كل شيء مثله». كما أنها وبعد أن قدمت «تقريرها» لابن أحيحة أخبرته عمّن يمكن أن تختارها له، وتكون مؤنسة له بملاحتها أكثر من زينب بن عمرو.

اللافت أيضاً في المروية أن عائشة بنت طلحة وغيرها من العرائس. خلعن ملابسهن وتقلن أمام «رسولة الحب» دون أي حرج. وحتى عائشة رغم عظم مكانتها، لم تشعر بحرج. ولأن الشيء بالشيء يذكر، فإننا نتذكر أنه حتى وقت قريب كانت الأمهات تأخذن بناتهن إلى «حمام السوق» حيث يكون الجو مناسباً. في إطار تواطؤ نسائي اجتماعي. لتستطلع النسوة الموجودات البنات المقبلات على الزواج ويتم استكشاف أسرار جمال أجسادهن.

تقدم لنا حُبِّي إضاءة جديدة لأدوار جديدة أمكن للمرأة أن تلعبها في تاريخ العرب. وأيضاً عائشة بنت طلحة تقدم لنا إضاءة جديدة عن مكانة المرأة في مجتمع المدينة، لا سيما أن هذه المرأة ارتبطت بقصتنا المحورية التي اعتمدنا عليها في تفكيك شخصية حُبِّي المدنية، فمن هي عائشة بنت طلحة؟

عائشة بنت طلحة

ما كنت لأستر جمالاً وسَمَنِي به الله

يفتح لنا تتبع سيرة جميلة جميلات العرب «عائشة بنت طلحة» أفقاً جديدة في بحثنا. فسيرة هذه المرأة تدل على الانفتاح الذي كان سائداً في مجتمعي

مكة والمدينة في صدر الإسلام، والحرية الجنسية¹²³ التي كانت تسودهما. فهذه المرأة وقفت في مواجهة زوجها مصعب بن الزبير لتعلن رفضها ستر وجهها أمام الناس. ولها في ذلك موقف ورأي، وعائشة كانت من حرائر العرب ومن سيدات مجتمعهما، وصاحبة جاه ومال كثير.

وهي عائشة بنت الصحابي طلحة بن عبيد الله رضي الله تعالى عنه، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة. وأمها أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق، وخالتها عائشة - أم المؤمنين، رضي الله عنها...

يقول صاحب الأغاني: «كانت عائشة بنت طلحة فريدة بين نساء عصرها، وكانت لا تستر وجهها من أحد، فعاتبها مصعب في ذلك، فقالت: إن الله تبارك وتعالى وسمني بميسم جمال أحببت أن يراه الناس ويعرفوا فضلي عليهم، فما كنت لأسترم. ووالله ما فيَّ وصمة يقدر أن يذكرني بها أحد. وطالت مراودة مصعب إياها في ذلك، وكانت شرسة الخلق... وكذلك نساء بني تيم هن أشرس خلق الله وأحظاهن عند أزواجهن»¹²⁴.

123 ولا نقصد هنا الحرية الجنسية بمعنى التحلل الأخلاقي، وإنما الانفتاح على الآخر.
124 الأغاني: 51/10، وراجع أيضاً أخبارها في الأغاني: 97/3 وما يليها، ورد الخبر في أخبار الحرث بن خالد المخزومي الذي كان ممن هُامَ في عشق عائشة لدرجة أنه أّخر إقامة الصلاة في مكة حتى تكمل عائشة طوافها، فعزله عبد الملك بن مروان عن إمارة مكة وأنّبّه. فقال الحرث: «ما أهون والله غضبه إذا رضيت، والله لو لم تفرغ من طوافها إلى الليل لأخّرت الصلاة إلى الليل». (الأغاني: 100/3).

وفي رواية أخرى في الأغاني: 110/3: أن عبد الملك بن مروان كتب للحرث: «ويلك أتركت الصلاة لعائشة بنت طلحة؟ فقال الحرث: والله لم تقض طوافها إلى الفجر لما كَبُرَتْ. وكان الحرث يكني عن ذكر عائشة في أشعاره بأمتها بشر (الأغاني: 128/15).
يضيف البلاذري في أنسابه: كان الحارث بن خالد يحب عائشة وكانت تحبه فخطبها الحارث قبل تزوج مصعب إياها فلم تجبه، فقيل لها: أحبك رجل وأحببتة حيناً، ثم خطبك فلم تتزوجيه؟ فقالت: كان فيَّ عيب ما يسرني أن لي طلاع الأرض ذهباً، وأنه اطلع عليه، فقيل: هو سوء الخلق، وقيل عظم الأذنين والقدمين. (أنساب الأشراف: 140/10).

نقل ابن عساكر عن إسحق قال: دخلت على عائشة بنت طلحة، وكانت لا تحتجب من الرجال، تجلس وتأذن كما يأذن الرجل، فلقد رأيتني دخلت عليها وهي مُتَكَتَّة، ولو أن بغيراً أنيخ وراءها ما رُئي¹²⁵.

وكانت عائشة تشبه بعائشة أم المؤمنين خالتها، فزوَّجتها خالتها عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر، وهو ابن أخيها، وابن خال عائشة بنت طلحة، وهو أبو عُذْرَتِهَا...¹²⁶ ولم تلد إلا منه¹²⁷.

عائشة التي تغزل بها الفقهاء

صارمت عائشة بنت طلحة، يوماً، زوجها عبد الله وخرجت من دارها غضبى، فمرت في المسجد وعليها ملحفة تريد عائشة أم المؤمنين، فراها أبو هريرة، فقال: سبحان الله، كأنها من الحور العين¹²⁸. وفي رواية أن عائشة نازعت زوجها إلى أبي هريرة، فوقع خمارها عن وجهها، فقال أبو هريرة: سبحان الله! ما أحسن ما غذاك أهلك، لكأنما خرجت من الجنة¹²⁹.

وفي رواية البلاذري: قال أبو هريرة عندما رآها: سبحان الله، سبحان الله ما أحسن ما غذاك أهلك، ما رأيت أحسن وجهاً منك¹³⁰.

125- مختصر تاريخ دمشق: 172/10.

126- أنساب الأشراف: 137/10 وما يليها، نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري: 91/19، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: 173/20، وفن النكاح في تراث شيخ الإسلام جلال الدين السيوطي، جورج كدر، دار أطلس 2011.

127- أنساب الأشراف: 141/10، نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري: 91/19؛ ولدت له عمران، وعبد الرحمن، وأبا بكر، وطلحة، ونفيسة، وكان ابنها طلحة أجود أجواد قریش، وطلحة هذا، بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه. يقول النويري صاحب نهاية الأرب في فنون الأدب: وطلحة هذا هو جدي الذي أنسب إليه. والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب، إليه المآب.

128- راجع أيضاً الأغاني: 133/2.

129- الأغاني: 57/10.

130- أنساب الأشراف: 137-138/10.

وذكر ابن عساكر في تاريخ دمشق أن أنس بن مالك قال لعائشة¹³¹، وهو قول ينسبه أبو الفرج لأبي هريرة¹³²: «ما رأيت شيئاً أحسن منك إلا معاوية أول يوم خطب على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: والله لأننا أحسن من النار في عين المقرور في الليلة القارة».

وينقل ابن عساكر في تاريخه أيضاً عن أنس بن مالك قال: دخلت على عائشة بنت طلحة في حاجة، فقلت: إن القوم يريدون أن يدخلوا إليك فينظروا إلى حسنك، قالت: أفلا قلت لي فألبس ثيابي! وكانت من أحسن الناس في زمانها¹³³.

وبعد أن طلقها عبد الله تزوجها مصعب بن الزبير فأ مهرها 500 ألف درهم. وأهدى لها مثل ذلك، وبلغ ذلك أخاه، فقال: إن مصعباً قدم أيره وأخر خيره، فبلغ ذلك من قوله عبد الملك بن مروان، فقال: لكنه آخر أيره وخيره¹³⁴.

وكان مصعب بن الزبير من أشد الناس إعجاباً بعائشة بنت طلحة ولم يكن لها شبه في زمانها حسناً ودمائة وجمالاً وهيئة ومتانة وعفة¹³⁵. وما شبهت وجهها إلا القمر طالعاً¹³⁶.

قال الأصفهاني: قال الزبير وحديثي عمي عن ابن الماجشون، قال: قالت سكينه بنت الحسين - عليه السلام - لعائشة بنت طلحة: أنا أجمل منك، فقالت عائشة: بل أنا. فاختصمتا إلى عمر بن أبي ربيعة. فقال: لأقضي بينكما، أما أنت يا سكينه فأملح منها، وأما أنت يا عائشة فأجمل منها،

131- مختصر تاريخ دمشق: 171/20.

132- الأغاني: 59/10.

133- مختصر تاريخ دمشق: 171/20.

134- الأغاني: 52/10.

135- الأغاني: 53/10.

136- أنساب الأشراف: 138/10.

فقالَت سَكينة: قضيت لي والله. وكانت سَكينة تسمي عائشة ذات الأذنين، وكانت عظيمة الأذنين¹³⁷.

أكل أكل سبعة وناك نيك سبعة

لكن أحبَّ الأزواج إليها كان آخرهم عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي من قريش، وهو الذي ناحت عند وفاته وهي قائمة. لأنه عند العرب إذا ناحت المرأة على زوجها قائمة علموا أنها لا تتزوج بعده¹³⁸. وكان زواجها به بعد مقتل مصعب سنة 70 أو 72 للهجرة. فقد تقدم لخطبتها بشر بن مروان، فبلغ عمر بن عبيد الله ذلك. وكان قادماً من الشام فنزل الكوفة. فأرسل إليها جارية. وقال: قولي لابنة عمي: يقرئك ابن عمك السلام. ويقول لك: أنا خير من هذا المبسور المطحول، وأنا ابن عمك وأحق بك. وإن تزوجت بك ملأت بيتك خيراً وحرك أيراً. فتزوجته فبنى بها بالحيرة¹³⁹. ومهدت له سبعة أفرشة عرضها أربعة أذرع فأصبح ليلة بنى بها عن تسع¹⁴⁰. قال: فلقيته مولاة لها، فقالت: أبا حفص، فديتك! قد كملت في كل شيء حتى في هذا¹⁴¹.

وفي رواية أخرى: فأدخلته مولاة عائشة وأسبلت الستر عليهما، فعددت له في بقية الليل على قلتها سبع عشرة مرة دخل المتوضأ فيها، فلما أصبحنا وقفت على رأسه، فقال: أتقولين شيئاً؟ قلت: نعم، والله ما رأيت مثلك أكلت أكل سبعة، وصليت صلاة سبعة ونكت نيك سبعة. فضحك، وضرب بيده على منكب عائشة. فضحكت وغطت وجهها¹⁴².

137 الأغاني: 17/166، وكانت عائشة وسكينة زوجتا مصعب بن الزبير.

138 مختصر تاريخ دمشق: 20/172.

139 الأغاني: 10/53.

140 وفي رواية أخرى عن سبع مرات، الأغاني: 2/134.

141 الأغاني: 10/53.

142- وقال مصعب الزبيري في خبر رأى فيه أبو الفرج الأصفهاني تحاملاً وعصبية من =

يقول ابن عساكر: حدثت عائشة بنت طلحة أنها كانت عند عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، فدخل عليها زوجها هناك وهو صائم، فقالت له عائشة: ما يمنعك أن تدنو من أهلك فتقبلها وتلاعبها؟ فقال: أقبلها وأنا صائم؟ فقالت: نعم¹⁴³.

عجائب الرهز وفنون الشخير

وقال المدائني في خبره: قالت امرأة: كنت عند عائشة بنت طلحة فقيل لها: قد جاء الأمير. فتنحيت، ودخل عمر بن عبيد الله، وكنت بحيث أسمع كلامهما فوق عليهما، فجاءت بالعجائب، ثم خرج، فقلت لها: أنت في نفسك وموضعك وشرفك تفعلين هذا؟ فقالت: إنا نتشهى لهذه الفحول بكل ما حركها وكل ما قدرنا عليه¹⁴⁴.

وفي رواية أخرى يذكرها الإمام جلال الدين السيوطي نقلاً عن الأصفهاني عن المدائني عن فلانة: كنت عند عائشة بنت طلحة، فقيل: قد جاء عمر بن عبد الله، يعني زوجها، قالت: فتنحيت، ودخل فلاعبها مرة، ثم وقع عليها، فشخرت ونخرت وأتت بالعجائب من الرهز، وأنا أسمع، فلما خرج قلت لها: أنت في نسبك وشرفك وموضعك تفعلين هذا؟ قالت: إنا نستهب لهذه الفحول بكل ما نقدر عليه وبكل ما يحركها، فما الذي أنكرت من ذلك؟ قلت: أحب أن يكون ذلك ليلاً... قالت: ما ذاك كهذا وأعظم، ولكنه حين يراني تتحرك شهوته وتهيج فيمد يده إلي، فيكون ما ترين.

وقال ابن حمدون: كانت عائشة موصوفة بعظم العجيزة، فإذا نهضت لا تستقل، وكانت تقول: إني بكما لمُعانة.

وقال هارون بن الزيات: حدثني قبيصة عن ابن عائشة عن أمه عن سلامة

= مصعب على عمر بن عبيد الله: «لما بنى بها عمر قال لها: لأقتلك الليلة، فلم يصنع إلا واحدة، فقالت له لما أصبح: قم يا قتال». (الأغاني: 55/10).

143- مختصر تاريخ دمشق: 171-172.

144- الأغاني: 55/10.

مولاة جدته أثيلة بنت المغيرة بن عبد الله بن معمر قالت: زرت مع مولاتي خالتها عائشة بنت طلحة، وأنا يومئذ وصيفة فرأيت عجيزتها، من خلفها وهي جالسة كأنها غيرها، فوضعت إصبعي عليها لأعلم ما هي، فلما وجدت مس إصبعي، قالت: ما هذا؟ قلت: جعلت فداك لم أدر ما هو فخلت أنها امرأة جالسة معك، فجئت لأنظرا فضحكت وقالت: ما أكثر من يعجب مما عجبت منه¹⁴⁵.

عائشة التي أفاضت علماً

وان كنا ذكرنا أحاديث العشق وبراعة عائشة بنت طلحة في شؤون الفراش، فهذا لا يعني أنها لم تبرع في شؤون أخرى، ولنا في خبر أورده الأصفهاني ما يدل على ذلك:

وفدت عائشة بنت طلحة على هشام بن عبد الملك، فقال لها: ما أوفدك؟ قالت: حبست السماء المطر ومنع السلطان الحق. قال: فإني أبلّ رحمك وأعرف حقك.

ثم بعث إلى مشايخ بني أمية فقال: إن عائشة عندي فاسمروا عندي الليلة، فحضروا فما تذكروا شيئاً من أخبار العرب وأشعارها وأيامها إلا أفاضت معهم فيه، وما طلع نجم ولا غار إلا سمته، فقال لها هشام: أما الأول فلا أنكره، وأما النجوم، فمن أين لك؟ قالت: أخذتها عن خالتي عائشة، فأمر لها بمئة ألف درهم وردها إلى المدينة¹⁴⁶.

145- راجع علمنا «فن النكاح» في تراث شيخ الإسلام جلال الدين السيوطي، الكتاب الثاني:

أخبار عائشة بنت طلحة، وفي الأغاني: 57/10.

146- الأغاني: 57/10.

من أخبار حُبِّي

حُبِّي يوم مقتل الشاعر العذري هُدبة بن الخشرم

يقول ابن عساكر في تاريخ دمشق: لما خُرج بهُدبة ليقاد منه بالحرّة جعل ينشد الأشعار، فقالت له حُبِّي المدينة: ما رأيت أقسى قلباً منك، أتشد الشعر وأنت يمضى بك لتقتل، وهذه خلفك كأنها ظبي عطشان تولول - تعني: امرأته - فوقف، ووقف الناس معه.

وفي رواية قال حماد¹⁴⁸: قرأت على أبي عن مصعب بن عبد الله الزبيري، قال: ومَرَّ هُدبة بحُبِّي، فقالت له: كنت أَعُدُّكَ في الفتيان، وقد زهدت فيك اليوم، لأنني لا أنكر أن يصبر الرجال على الموت، لكن كيف تصبر عن هذه (تقصد زوجته وكانت من أجمل النساء)؟ فقال: أما والله إن حُبِّي لها لشديد. وإن شئت لأصفنَّ لك ذلك، فوقف الناس معه وأقبل على حُبِّي فقال¹⁴⁹:

147 - هو هُدبة بن الخشرم بن كرز ابن أبي حية بن الكاهن، وهو سلمة بن الأسحم، شاعر فصيح متقدم من شعراء بادية الحجاز. وهو الذي قتل زيادة بن زيد، وزيادة بن زيد أحد بني الحارث بن سعد إخوة عذرة. قال ابن دريد: وهو أول من أقيد بالحجاز. (راجع: مختصر تاريخ دمشق: 71/27-72، الكامل للمبرّد، ص1454، الأغاني: 175/21، ديوان هُدبة بن الخشرم، ص19، وفي تزيين الأسواق لداود الأنطاكي، الصنف الثالث في ذكر من أشبه العشاق في محبته وشاكلهم في مودته فتعاهدا لشدة كلفه بالمحبيب على عدم الفراق فنكث أحدهما عهد الآخر بعد التلاق.

148 - الأغاني، نسخة بولاق: 176/21، ديوان هُدبة، ص19-20.

149 - وردت الأبيات أيضاً في الحيوان، الجاحظ: 200/2-201، وفي الشطر الثاني من البيت الثاني: «كما انبعثت من قوة وشباب»، قال الجاحظ: وكان زوج حُبِّي المدنيّة يقال له ابن أمّ كلاب.

فما وجدت وجدي بها أمّ واحد ولا وجدَ حُبِّيَ بابن أمّ كلاب
 رآته طويل الساعدين شمردلاً كما انتعت من قُوّة وشَبَابٍ
 فأغلقت حُبِّيَ في وجهه الباب وسبّته.

وفي إحدى روايات الأغاني: قال حماد في روايته: قرأت على أبي حدثي ابن كناسة: مَرَّ بِهَذَبَةٍ عَلَى حُبِّي. فقالت: في سبيل الله شبابك وجلدك وشعرك وكرمك.

وفي التذكرة الحمدونية: قالت له حُبِّي في تلك الحال: لقد كنت أعذك من الفتیان وقد زهدت فيك اليوم لأنني لا أنكر صبر الرجال على الموت، ولكن كيف تصبر عن هذه؟ فقال: والله إن حُبِّي لها لشديد، وإن شئت لأصفن ذلك، ووقف ووقف الناس معه¹⁵⁰.

وفي رواية العلامة الطبيب داوود الأنطاكي في «تزيين الأسواق وأخبار العشاق»، حين أخرج للقتل مَرَّ على زوجة مالك بن عوف¹⁵¹، فقالت: في سبيل الله شبابك وصبرك وشعرك فأنشد ارتجالاً¹⁵²:

150- التذكرة الحمدونية: 410/2.

151- ونقل محقق ديوان هدية ذلك في هامش ص 147، ويكرر داود الأنطاكي أن حُبِّي كانت زوجة مالك، فهو يقول: نظر إلى زوجة مالك وقد قالت له: كيف تصبر عن هذه؟ فأنشد: وجدت بها ما لم تجد أم واحد... والسؤال هنا يفرض علينا التدقيق فيما إذا كانت حُبِّي زوجة مالك بن عوف، أم عبید ابن أمّ كلاب.

مالك بن عوف من بني نصر، سيد قومه هوازن، جمع ثقیف وهوازن (باستثناء كعب وكلاب) بوادي حنین قرب وادي ذي المجاز لقتل رسول الله محمد، فهزمهم النبي وساق نسايتهم وصبيانهم وماشيتهم غنيمة وقسم أموالهم فيمن كان أسلم من قريش. وعندما أسلمت ثقیف، سأل عنه رسول الله وقد هوازن، وقال لهم بأن يخبروا مالك: «إن أتاني مسلماً رددت إليه أهله وماله، وأعطيته مئة من الإبل». فخرج مالك من الطائف إلى الرسول، وأسلم وحسن إسلامه. ووفى الرسول له بوعده واستعمله على من أسلم من قومه. (راجع الطبري، ص 441-446: أحداث السنة الثامنة للهجرة).

152- البيتان في ديوان هدية بن الخشرم، ص 147، في رواية الأغاني: «أسير مقيد».

تَعَجَّبُ حُبِّي مِنْ أَسِيرٍ مُكَبَّلٍ صَلِيبِ الْعَصَا بَاقٍ عَلَى الرَّسْفَانِ
فَلَا تَعَجَّبِي مَنِّي حَلِيلَةَ مَالِكٍ كَذَلِكَ يَأْتِي الدَّهْرُ بِالْحَدَثَانِ

فانقمعت داخلة إلى بيتها فأغلقت الباب دونه. قالوا: فدفع إلى أخي زيادة ليقتله. وبعث خشرم إلى عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم يقول لها: استغفري لي. فقالت: إن قتلت استغفرت لك.

حُبِّي والخليفة عبد الملك بن مروان

جمع الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان بحُبِّي أكثر من لقاء، هذه اللقاءات تقدم لنا تفاصيل دقيقة عن حُبِّي، ونفهم من رواية الطبري في تاريخه أن عبد الملك ومصعب ابن الزبير كانا يلتقيان عند حُبِّي ويتحدثان إليها، وأن عبد الملك بن مروان كان يأتي على الدوام قبل خلافته إليها ويأكل عندها أكلة الأقط. وهذه الأكلة شهيرة في التراث العربي لدرجة أن كلمة «أقط» تحل محل الطعام. قال اللحياني: كنت عند بني فلان فخبزوا وحاسوا وأقَطُوا أي أطعموني، ويبدو أن حُبِّي اشتهرت ليزكرها بأنها لم تكن لذيدة كما عهدتها سابقاً، كما سيأتي.

يقول الطبري في روايته عن مقتل مصعب بن الزبير¹⁵³: إنه لما قدم قاتله عبید الله بن زياد بن ظبيان، حاملاً رأسه لعبد الملك بن مروان، نظر إليه، وقال: متى تغدو قريش مثلك؟

يقول الطبري في روايته أيضاً، أن عبد الملك ومصعب كانا يتحدثان إلى حُبِّي وهما بالمدينة، ف قيل لها: قُتل مصعب. فقالت: تعس قاتله! فقيل: قتله عبد الملك بن مروان. فقالت: وبأبي القاتل والمقتول! قال: وحج عبد الملك بعد ذلك، فدخلت عليه حُبِّي، فقالت: أقتلت أخاك مصعباً؟ فقال:

من يذق الحرب يجد طعمها مرأً وتتركه بجعجاع

153- تاريخ الرسل والملوك، ص 1132، والكامل في التاريخ لابن الأثير: 392/4.

يشير البلاذري في أنسابه أيضاً إلى لقاء آخر بين حُبَيَّ وعبد الملك بن مروان في المدينة حيث تركت فتیان قريش الذين كانوا يتحدثون في منزلها وأشرفت عليه، قال البلاذري: حدثني عمر بن بكير عن هشام ابن الكلبي عن ابن مسكين المديني عن أبيه قال: حج عبد الملك فمر بمنزل حُبَيَّ المدينية بالمدينة، وكان فتیان قريش يجلسون إليها فيتحدثون عندها، فأشرفت عليه ونظر إليها وهي تدعو له، فوقف وقال: يا حُبَيَّ. أنا عبد الملك، فقالت: قد علمت فبأبي أنت وأمي، الحمد لله الذي أراني وجهك قبل موتي. كيف أنت يا سيدي؟ قال: بخير يا حُبَيَّ كيف ماؤك المبرد، ومن كان يفشاك من فتیان قريش؟ قالت: بخير يا أمير المؤمنين، أقتلت أخاك عمرو بن سعيد؟ قال: نعم والله ويعز علي، ولكنه أراد قتلي، قالت: فلا أحاله، فأمر لها بخمسمئة دينار وأهدت له أشياء فقبلها¹⁵⁴.

وفي التذكرة الحمدونية: قالت له حُبَيَّ المدينية: أقتلت عمرًا؟ فقال: قتلته وهو أعزُّ عليَّ من دم ناظري، ولكن لا يجتمع فحلان في شَوْلٍ¹⁵⁵.

وفي التذكرة الحمدونية نفهم من أن الخليفة عبد الملك بن مروان جلس وتناول طعامه في دارها، يقول ابن حمدون: قال عبد الملك حين حج لحُبَيَّ المدينية: ما فعلت خَزِيرَتُكَ؟

فقالت: البُرْمَةُ (القدر) عندي، وعندي أقط¹⁵⁶ وسمنٌ.

فعملتها له. فأكل منها، وقال: يا حُبَيَّ، ليست كما كنت أعهد!

فقالت: ألهاك عنها زِمَكَي الدجاج، قال: صدقت، وأمر لها بمال¹⁵⁷.

154- أنساب الأشراف، البلاذري: 218/7.

155- التذكرة الحمدونية: 433/1.

156- قال ابن الأثير: قد تكرر ذكر الأقط في الحديث وهو لبن مُجَفَّف يابس مُسْتَحْجَر يُطَبَخ... (راجع لسان العرب: شرح أقط).

والأقط هو نفسه الكثا: وهو كرات من اللبنة تُمَلَّح وتجفف في الشمس، وهو المعروف اليوم عند كثيرين باسم المليحي، المليحية.

157- التذكرة الحمدونية: 142/3.

تعاليم حُبِّي

في الجماع

علمت حُبِّي نساء المدينة النَّقْعُ وهو النخر، والحركة والغربة والرَّهْز¹⁵⁸.
النَّقْعُ: رَفْعُ الصَّوْتِ، وصَوْتُ النَّعَامَةِ، والنَّقْعُ: النخر وهو صوت الأنف، وامرأة
مِنْخَار: تَنْخَرُ عند الجماع، كأنها مجنونة، ومن الرجال من يَنْخَرُ عند
الجماع حتى يُسمع نَخِيره، وتسمي العرب الأصوات عند الرهز والجماع:
الفضاطط. (كما في العباب الزاخر. شرح فطط).

والغربة: هي الرهز بلغة أهل المدينة، كما يقول الجاحظ. وغربل الشيء:
نَخَلَه (لسان العرب)، ويبدو أن الغربة هي نوع من أنواع الرهز تشبه حركة
الطحان وهو ينخل الحنطة.

والرهز. في لغة العرب: هي الحركة، وهي الحركة عند الإيلاج من الرجل
والمرأة. (لسان العرب).

نصائح حُبِّي لابنتها وزوجها¹⁵⁹

حكى أن حُبِّي قالت لابنتها قبل أن تهديها إلى زوجها: إني أوصيك بوصية إن
قبلتها سعدت ونعمت بذلك: انظري إن هو مَدَّ يده إليك فانخري، وارهزي،
وأظهري له استرخاءً وفتوراً، فإن قبض على شيء من بدنك، أو جارحة
من جوارحك، فارفعي صوتك بالنخير مدّاً، وتنفسي الصعداء، وبرقي

158- المعاسن والأضداد، ص177، راجع شرح الكلمات في لسان العرب والقاموس المحيط
والعباب الزاخر.

159- جوامع اللذة، من ص35 حتى 39. ونقلها عنه العلامة الطبيب داود الأنطاكي في النوادر
من صفحة 72 إلى 76.

حماليق¹⁶⁰ أجفانك، فإن أولج عليك، فأكثرني اللفظ، وغربي. وأظهري غنجاً وحركة، وعاطيه من تحته رهزاً موافقاً لرهزه، ثم خذي يده اليسرى فأدخلي حرفها بين إيتك. وضعي رأس إصبعه على باب استك ثم تحفزي وتحركي، ثم أعيدي النخير والشهيق، فإذا أحسست بإفضائه، فاضبطيه وعاطيه الرهز من أسفل بنخير وزفير حتى إذا هو خرَّج أيره في خلال رهزك، فخذيه بيدك اليسرى، ثم أولجيه، وأظهري من الكلام الفاحش المهيج للباءة، ما يدعو لك قوة الإنعاض.

فإذا دخل عليك يوماً وهو مغموم. فتلقه في غلالة طيبة، لا يغيب عنه بها جارحة من جسدك، ثم اعتقيه والزميه، وقبليه، وأكثرني النخير، فإن هش إيتك، فأدخلي يدك من كمّه. واقبضي على ذكره، واعصريه والويه. وخذي يده، فأدخليها من كمك، وضعيها على صدرك وبطنك، ثم جريها بين إيتيك، فإن أنعط، وإلا بادري الفراش، واستلقي على ظهرك. واكشفي بطنك وظهرك، وأبرزي له عجيزتك، واضربي بيدك مرة على جرّك ومرة على ردفك، فإنه لا يملك عند ذلك، ولا يهوى سوى مخالطتك.

واعلمي يا بنية أنك لا تستعطفيه أبداً، ولا تقيدنه بقيد هو أبلغ من الوطء في الاست، فإن هو أراد ذلك منك، فأجيبه إليه غير ممتعة عليه. ولا متكرّهة فإن القلب ينفر عند الممانعة، ويشمئز عند المدافعة وأريه من أنواعه. وباباته ما تتوق معه نفسه إلى الطلب إليك منه، وإن لم يردّه، فاستدعيه أنت منه، واكشفي عن عجيزتك أحياناً وقولي: يا سيدي لو عملت واحداً في الاست لبعث الابن والبنت ولم تصبر عنه ولو حبّست، فإن هبّ إلى ذلك، فانبطحي بين يديه، واكشفي إيتيك واضربي بيدك عليها، وقولي: هذا البيض المكنون والجوهر المصون، فإنه لا يملك نفسه عند ذلك إلا متجلداً، فإن تحرك وإلا فارفعي قليلاً قليلاً، حتى تساوين وجهه، وانفركي أشد ما

160- جماليق في نسخة جوامع اللذة، وفي النوادر: حماليق: مفردهما حملاق: باطن الجفن الذي إذا قلب للكحل رأيت حمرة.

تقدرين عليه، فأقسم بالله أنه لو كان في نُسك رابعة ومعاذة¹⁶¹، لهم ودبٌ،
وصرٌّ، واستلذٌ.

واعلمي يا بنية أنه ليس شيء من باب الوطاء في الاست تامة أجلب للقلب،
ولا أسلب لللب، غير النصب على أربعة، فأذيقه إياه مرة، فإنه لا يزال لك
وامقاً، ولأخوتك عاشقاً.

وعليك يا بنية بالماء، فتنظفي به، وبالف في الاستنظاف، وتعهدي مواضع
أنفه وعينه، فلا يشمن منك إلا طيباً، ولا ترى عيناه إلا مرتقاً، فإذا أولج
عليك، فأكثر من اللفظ الفاحش، وقولي بين أضعاف لفظك: يا دائي،
يا حياتي، يا دوائي يا شفاي، يا سروري، يا حبيبي، يا طيبي، يا شهوتي،
يا فرحتي. يا غاية رجائي، ركبته، غيَّبه، أولجه، شَرَّجه، أخرجه، اعفجه،
خرقه. لبَّقه، مزقه، ريقه، احرقه، واويلاه، واحجراه، واستاه، أولجه،
قتلتي، ثم انخري، وازفري، وازحميه بعجزك، فإن هو أمسك عن الرهز
فاراهزي، فإن خرج أيره فخذيه بيدك وفُقي باب استك وأدخله، فإنه يظن
ذلك منك على سبيل المجون، فإن تباطأ عن ترييق ذكَّره، فخذ من فمك
ريقاً فضميه عليه ثم خذي رأسه بيدك اليسرى، فادلكي به باب استك
ساعة، ثم أولجه وازحميه بعجزك كله حتى يلج عن آخره في استك.

فإن هو قال لك في خلال إتيانه لك: أين هو منك؟

فقولي: في الاست ولا أخرجه ولو حبست.

فإن أعاد القول، وقال: أين هو؟ فقولي: في الغار.

فإن قال: ماذا يعمل؟ فقولي: يخاصم الجار.

فإذا قرب إنزاله، فأكثر النخير، ثم قولي: صبه في اللبَّة، اسكبه في الثقبه،
غيبه في الرُكبة، صبه في الشرج، ففيه الشفاء والفرج.

فإذا أنزل فتطامني قليلاً وهو فوقك، حتى تنبطح على وجهك، ولا تدعيه

161- يحدد ميلاد رابعة بنحو 100 للهجرة، وهذا يرجح أن هذه الرواية فيما لو صح نسبها
لحُبِّي، فإن الذاكرة الشعبية أعملت في الرواية زيادة وإضافة لم يعرفها الأصل.

يقوم عن واحد، وارهزي تحته رويداً رويداً، كما وصفت لك ولا تخليه عن القيام عن أقل من ثلاثة أو أربعة، فإنك تُذهبين بذلك لبّه، وتجلبين قلبه. ثم أتت بعلمها، وقالت له: إني قد ذلت لك المركب، وسهلت لك المطلب، فاقبل وصيتي تحمد غب موعظتي. قال: مُري بما شئت.

قالت: إذا خلوت بأهلك، فخذ فيما أردت من النيك الصلب، والرهز القوي، وثاوره مثاورة الأسد فريسته، فإذا صرعتها، فغول بالخمش، والقرص، وعض الشفتين، ثم شل رجليها على عاتيك، ثم أدخل يدك من تحت بطنها حتى تجمعها من تحت إبطها، واقبض على منكبيها بأطراف أصابعك، ثم ارفع باطن ركبتيها بباطن منكبيك، ثم ضع رأس ذكرك بين شفريها، واجعل لسانك في فيها، ثم ادلك الشفرين دلْكاً رقيقاً، ثم أولجه حتى يغيب عن آخره، فإذا قضيت فالصق العانة بشفريها، واستعمل في خلال ذلك النخير لتزيدها بذلك شبقاً وغلّة، وأجد الرهز من فوق، وترهزك من أسفل على الإيقاع، ولا تفران حتى تصبه في حرّها، ثم تنعظ ثانياً، ثم كذلك ثالثاً قبل القيام، ثم قوماً جميعاً فتظلفا بالماء، ثم ارجعا إلى فراشكما، فابطحها على الوجه، واقعد على فخذيها، وريق ذكرك، وباب استها وادلك به الحلقة قليلاً قليلاً حتى تلين، وأولجه وتابع الرهز، وبالغ في الإيلاج حتى تصبه في استها، ثم ارهز رويداً، وترهز هي من تحتك حتى تقوم، فإذا قمت فأخرج يدك من تحت إبطها حتى تقبض على سرتها فتعصرها عَصراً رقيقاً، ثم ارفعها إليك، وارفع عنها قليلاً قليلاً حتى تصير باركة على أربعة، وارفع عجيزتها ومرها فلتخفض فتنها، وتشخص منكبيها، فإنها تنفتح عند ذلك انفتاحاً شديداً، ثم أولج في استها، وأجد الرهز، والنخير متبعاً لها، ولا تزال على ذلك حتى تعمل ثانياً وثالثاً، ولا تغفل أن يكون وطؤك في الاست نهاراً، فإنه أطيب، وألطف، وألذ، وأقر للعين، لأنك تنظر إلى ما تعمل. وهذا الكلام، هو من كلام القدماء وأهل البدو.

كيف يأخذ الزوج الزوج؟

وقال الهيثم عن صالح بن حسان: قالت حُبِّي لبنات لها قد زَوَّجَتْهُنَّ وَبَنَتْهُنَّ فجلسن معها ذات يوم في خلاء، فأقبلت على الكبرى فقالت: أي بنية، كيف أَحَبُّ إليك أن يأخذك زوجك؟ قالت: يا أمه! يقدم من سفر فيدخل الحَمَّام، ثم يأتيه زواره والمسلمون عليه ثم يتغدى وأغلق الباب وأرخي الستر. فحينئذ آتي ما أرومه¹⁶² قالت لها حُبِّي مقاطعة: اسكتي أي بنية فما صنعت شيئاً. فقالت الوسطى: بل يقدم من سفر فيضع ثيابه ويأتيه جيرانه والمسلمون عليه. فإذا جاء الليل تَطَيَّبْتُ له وتهيأت، ثم أخذني على ذلك. قالت: ما صنعت شيئاً.

فقالت الصغرى: بل يكون في سفر، فإذا أقبل نحوي دخل الحَمَّام وأطلى ثم قدم وقد شول¹⁶³، فيدخل عليَّ فيفلق الباب ويرخي الستر، ثم يوافيني فيدخل أيره في حري ولسانه في فمي واصبعه في استي، فينيكني في ثلاثة مواضع، قال: تقول حُبِّي: اسكتي يا بنية اسكتي! الساعة تبول أمك من الشهوة!

في الرهز والغنج والنخير

نصائح حُبِّي في خلوة الحب¹⁶⁴

قيل لحُبِّي المدنية: ما الذي يُستحب من المرأة عند الخلوة؟ قالت: أن يسمع لفرجها صريراً، ولحلقها غطيظاً، ولخياشيمها نخيراً.

162- في الأصل: فثم حينئذ أي أمه... والتصحيح عن الراغب الأصفهاني في محاضرات الأدباء، فصل اختيار المرأة نوعاً من الجماع دون نوع: 265/3، ومن الكشكول للبهاء العاملي.

163- قيل أن يقدم بثلث فجاء فاضلاً، ثم قدم وقد شوك: في الأصل، وتسوك: في قصة الكشكول للبهاء العاملي.

164- جوامع اللذة، ص54.

خبر جمال الخليفة عثمان التي تشتت بنخرة حُبَي

ذُكر عن حُبَي المدنية أنها قالت: الفنج ما كثر فيه النخير، وطال في خلاله التنفس والزفير¹⁶⁵.

وقيل لحُبَي المدنية: إن النساء قد أحدثن شيئاً. قالت: وما هو؟ قيل: النخير. قالت: والله لقد نخرت نخرة تحت رجل، فنفر منها ثلاثة آلاف بعير من إبل الصدقة في زمان عثمان بن عفان، فلا تلاقوا بها حتى الآن¹⁶⁶.

ولدى الجاحظ رواية مختلفة عن إبل عثمان: كانت حُبَي المدنية من المفتلمات¹⁶⁷. فدخل عليها نسوة من المدينة. فقلن لها: يا خالة، أتيناك نسألك عن القبع عند الجماع يفعلنه النساء، أهو شيء قديم أم شيء أحدثه النساء؟ قالت: يا بناتي، خرجت للعمرة مع أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه، فلما رجعنا، فكنا بالعرج نظر إليّ زوجي ونظرت إليه، فأعجبه مني ما أعجبنى منه. فواثبني، ومَرّت بنا غير عثمان فقبعتُ قبعة وأدركني ما يصيب بنات آدم، فنفرت العير - وكانت خمسمئة - فما التقى منها بعيران إلى الساعة.

والقَبْع: النخير عند الجماع. والغربة: الرهز. كذاك تسميه أهل المدينة. ويقال: إن حُبَي علمت نساء المدينة القبع والغربة.

وقال ابن طيفور في بلاغات النساء: قال الهيثم: قالت ابنة حُبَي لأمها: يا أمه! إن زوجي يطلب إلي إذا جامعني أن أنخر، قالت: يا بنية انخري، فقد كانت أمك تنخر نخيراً تقطع منه قطرات إبل عثمان بن عفان، فلا تدرك إلا بذئ المجاز¹⁶⁸.

165- جوامع اللذة، ص56.

166- جوامع اللذة، ص56.

167- رسائل الجاحظ كتاب مفاخرة الجواري والعلمان: 129/2-130.

168- بلاغات النساء، ص155.

وفي نزهة الألباب للتيفاشي: حكى عن حُبِّي المدنية¹⁶⁹، وكانت من كبار السحاقات، أنها قالت لابنتها: عليك بصحة الشيخير عند الرهز، واعلمي أنني نَخَرْتُ بالبادية نخرة أجفلت منها جمال عثمان بن عفان، رضي الله عنه. فلم تجتمع إلى الآن.

يروى الميداني في أمثاله¹⁷⁰: أن حُبِّي زوّجت بنتها، ثم سألتها عن زوجها، فقالت: أحسن الناس خُلُقاً وخُلُقاً، وأوسعهم رَحْلاً وصُدراً، يملأ بيتي خيراً وجري أيراً، غير أنه يكلفني أمراً صعباً، قد ضقت به ذرعاً. قالت حُبِّي: وما هو؟

قالت: يقول عند نزول شهوته وشهوته: انخري تحتي! فقالت: وهل يطيب نيك بغير رهز ونخير؟ جاريتي حرة إن لم يكن أبوك قديم من سفر، وأنا على سطح مُشرفة على مَرَبَدِ إبل الصدقة، وكلُّ بغير هناك قد عَمِلَ بعقالين، فصرعني ورفع رجلي، فطعنني طعنة نَخَرْتُ لها نخرة نفرت منها إبل الصدقة، فقطعت عَقْلُها وتفرقت، فما أخذ منها بغيران في طريق، فكان ذلك أول شيء نُقِمَ على عثمان، وما كان له في ذلك ذنب. الزوج طعن، والزوجة نَخَرَتْ، والإبل نَفَرَتْ، فما ذنبه؟

أَيُّ الرِّجَالِ أَحَبُّ إِلَى النِّسَاءِ؟

وقال الهيثم عن صالح بن حسان قال: جلس فتية من قريش معهم ابن لحُبِّي، وكانت حُبِّي أول من علّم أهل المدينة النخر والحركة والغريبة وشدة الرهز، قال صالح: وإنما أخذت ذلك عن سعدى بنت الحارث، قال صالح: فتذكروا أيُّ حالات الرجال أحب إلى النساء أن يأخذوهن عليه، فقالوا لابن حُبِّي: ويحك! علم هذا والله عند أمك، قال: إذا أتاكم والله بعلمه. قال: فأتى أمه فقال: يا أمه أي الحالات أعجب إلى النساء من أخذ الرجال إياهن؟ قالت:

169- نزهة الألباب فيما لا يوجد في كتاب، التيفاشي، ص238.

170- مجمع الأمثال: 387/1 - مثل: أشبِق من حُبِّي.

أي بني! أما إذا كانت مثلي (تعني مسنة) فأبركها ثم خذها من خلفها، فإنك تدرك بذلك ما تريد وتبلغ حاجتها¹⁷¹.

وفي رواية الجاحظ، قال ابن حُبَّيْ لأمه: يا أمه، أيُّ الحالات أعجب إلى النساء من أخذ الرجال إياهن؟ قالت: يا بني، إذا كانت مسنة مثلي فأبركها وألصق خدها بالأرض ثم أوعبه فيها. وإذا كانت شابة فاجمع فخذيها إلى صدرها فأنت تدرك بذلك ما تريد منها وتبلغ حاجتك منها¹⁷².

قال عباس الدوري: سمعت يحيى بن معين يقول لحُبَّيْ المدنية: أيُّ الرجال أعجب إلى النساء؟ قالت: الذي يشبه خده خدها¹⁷³.

طبعاً من غير المنطقي أن يكون الحافظ بن معين التقى بحُبَّيْ المدينة، لأن ابن معين ولد سنة 158 وتوفي سنة 233 للهجرة، وتستقيم الرواية عندما نعلم أن ابن معين كان مجرد ناقل لهذه الرواية، ففي تاريخه يرد حرفياً عن يحيى ابن معين قال: قيل لحُبَّيْ - امرأة من أهل المدينة -: أيُّ الرجال أعجب إلى النساء؟ قالت: الذين يشبه خدودهم خدود النساء¹⁷⁴.

171- بلاغات النساء، ص 155-156.

172- رسائل الجاحظ، مفاخرة الجواري والفلماني: 131/2.

173- سير أعلام النبلاء: 93/11، قال الذهبي: يحيى بن معين ابن عون بن زياد بن بسطام، هو الإمام الحافظ الجهيد، شيخ المحدثين، أبو زكريا، ولد سنة 158 للهجرة... والرواية نقلها الذهبي عن عباس الدوري، أبو الفضل البغدادي الحافظ، أحد رواة أخبار بن معين. (راجع أخباره في سير أعلام النبلاء: 522/12).

174- يحيى ابن معين وكتابه التاريخ: 198/3.

نوادرو طرائف حُبّی

مهراس حُبِّي المشغول

قال إسحق الموصلي: أتت امرأة فيها عجمة، حُبِّي المدنية تسألها المهراس وزوجها يجامعها، فقالت: أعيرونا المهراس، فقالت: اطلبه من ابني فإن مهراسنا في الهاون مشغول¹⁷⁵.

حُبِّي وأشعب¹⁷⁶

سمع أشعب حُبِّي المدنية تقول: اللهم لا تمتني حتى تغفر لي ذنوبي! فقال لها: يا فاسقة أنت لم تسألي الله المغفرة، إنما سألته عمر الأبد. يريد أنه لا يغفر لها أبداً¹⁷⁷

حُبِّي لا تبالي شيطاناً التقت أم رجلاً

خرجت حُبِّي المدنية¹⁷⁸ في جوف الليل فلقبها إنساناً فقال: أخرجين في هذا الوقت؟ قالت: وما أبالي؟ إن لقيني الشيطان فأنا في طاعته، وإن لقيني رجل فأنا في طلبه!

175- بلاغات النساء، ص 161، وردت أيضاً في محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني.

176- الأغاني، نسخة بولاق: 175/21، ديوان هدية بن الخشرم، مقدمة المحقق، ص 19.

177- الأغاني للأصفهاني: أخبار أشعب: 92/17، وردت في نهاية الأرب للنويري، فصل الإنسان وما يتعلق به. وأشعب بن جبير واسمه شعيب وكنيته أبو العلاء، كان يقال لأمه أم الخلدج، وقيل: بل أم جميل وهي مولاة أسماء بنت أبي بكر واسمها حميدة، نشأ بالمدينة في ديوان آل عثمان وتولت تربيته وكفلته عائشة بنت عثمان بن عفان.

178- التذكرة الحمدونية: 7/ 247، النويري نهاية الأرب: 24/4، نثر الدر لابن أبي.

تَمَنَّتْ أَنْ يَكُونَ لَهَا حِرَانٌ وَلِزَوْجِهَا أَيْرَانُ

يقول الجاحظ في كتاب الحيوان. فصل إعجاب الضبِّ والمقرب بالتمر¹⁷⁹:
أنشدني ابن داحه¹⁸⁰، لحذيفة بن دأب عم عيسى بن يزيد¹⁸¹، الذي يقال
له ابن دأب، في حديث طويل من أحاديث العشاق:

لئن خُدِعتُ حُبِّي بِسَبِّ مُزَعَفَرٍ¹⁸² فقد يُخدع الضبُّ المخادع بالتمر
لأن الضبَّ شديد العُجب بالتمر، فضرب الضبُّ مثلاً في الخُبث والخديعة.
قول بعض العلماء في تناسل الضبِّ: قال أبو خالد: قال أبو حية: الأصل
واحد، والفرع اثنان، وللأنثى مدخلان، وأنشد لحُبِّي المدنيَّة¹⁸³:

وَدِدْتُ بِأَنَّهُ ضَبٌّ وَأَنِّي كضَبَّةٍ كُذِّبَتْ وَجَدْتُ خَلَاءَ

قال: قالت هذا البيت لابنها، حين عذلها، لأنها تزوجت ابن أمَّ كلاب، وهو
فتى حدث، وكانت هي قد زادت على النصف¹⁸⁴، فتمنَّتْ أَنْ يَكُونَ لَهَا حِرَانٌ
ولزوجها أَيْرَانُ.

179- الحيوان: 61/6، والمعاني الكبرى لابن قتيبة الدينوري، الأبيات في الضب...

180- يقول عبد السلام هارون، محقق «الحيوان»: لم أعر على ترجمة لابن داحه ولكن
الجاحظ ذكره في البيان باسم إبراهيم بن داحه مع جماعة من الرجال. ثم قال:
«وهؤلاء جميعاً مشايخ الشيعة، أي الشيعة».

181- حذيفة بن دأت كان عالماً ناسباً، قال الجاحظ: «وفي آل دأب علم بالنسب والخبر»،
وعيسى بن يزيد بن بكر بن دأب كان خطيباً شاعراً ناسباً، يضع الحديث في المدينة،
وكان يضع الشعر كأحاديث السمر. (راجع هامش المحقق لكتاب الحيوان). وقال
البلاذري في أنساب الأشراف: قتل حذيفة بن دأب يوم الحرة في أيام يزيد بن
معاوية.

182- السُّبُوبُ: وهي الثَّيَابُ الرُّقَاقُ، الواحدُ سَبٌّ، والسَّيَابُ: جمع سَبِيَّةٍ وهي شُعَّةٌ من الثَّيَابِ
أَيُّ نَوْعٍ كَانَ؛ وقيل: هي من الكَتَانِ. والمَزْعَفَرُ: المُلَوَّنُ بِالزَّعْفَرَانِ. (راجع لسان العرب،
شرح: سبب).

183- الحيوان، الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون: 75/6.

184- النُّصَفُ - بالتحريك: المرأة بين الحَدَثَةِ والمُسِنَّةِ. والنصف من النساء: التي قد بلغت
خمساً وأربعين ونحوها، وقيل: التي قد بلغت خمسين. (لسان العرب، شرح: نصف).

في رواية ياقوت الحموي في معجم الأدباء: أن حُبَيّ المدنية قالت شعرها هذا «لما عدلها أبوها في تزوجها ابن أم كلاب»¹⁸⁵، وليس ابنها.

حُبَيّ تتأثر لذات النحيين¹⁸⁶

قال مصعب الزبيري: جاءت حُبَيّ المدنية الى شيخ يبيع اللبن ففتحت وطباً (هو سقاء اللبن) فذاقته ودفعته إليه، وقالت له: لا تعجل بسدّه، ثم فتحت آخر فذاقته ثم دفعته إليه. فلما شغلت يديه جميعاً كشفت ثوبه من خلفه، وجعلت تصفق بظاهر قدمها استه، وهي تقول: يا ثارات ذي النحيين¹⁸⁷ دونكم الشيخ. والشيخ يصيح وهي تصفق استه، قالوا: فما خلص منها إلا بعد كدّ.

سيكون لنا وقفة مطولة مع أسطورة «ذات النحيين» في كتاب آخر، ولكن يهمننا الآن أن نشير إلى أن حُبَيّ أرادت بما فعلته مع الشيخ الانتقام لامرأة واقمها في الجاهلية خوات بن الجبير، الصحابي المعروف، دون رضاها، وقد اختلفت المصادر في اسم «ذات النحيين».

ومن حديثها أن خوات بن جبير الأنصاري في الجاهلية حضر سوق عكاظ،

185- معجم الأدباء، ياقوت الحموي: 1003/3.

186 بلاغات النساء، ص165، وردت أيضاً في نهاية الأرب للنويري: 24/4، نثر الدر، منصور بن الحسين الآبي، فصل النساء المواجهن، نكت من كلام النساء.

187- نزهة الألباب للتيفاشي، ص108: يا ثارات ذات النحيين والشيخ يصيح وهي تصفق استه وخصيته وقد اجتمع عليهما الناس يضحكون، فما خلص منها إلا بعد كد وجهه. وتروى هذه الحادثة بطريقة أخرى عن أم الدرداء، وقد وردت في أمثال العرب: يُحكى أن أم الدرداء العجلانية طلبت بثأرها. فشغلت بائع سمن بسوق «خربة» باليمامة، وبزقت في استه، وقالت: يا ثارات ذات النحيين، يا ثارات النساء عند الرجال، يا لثارات الهذليّة عند خوات! (راجع كتاب أمثال المرأة عند العرب).

فرائد اللالئ في مجمع الأمثال: 327/1: تروى القصة عن أم الورد العجلانية خلال مرورها في سوق من أسواق العرب.

فانتهى إلى هذه المرأة وهي تبيع السمن، فأخذ نحيّاً من أنحائها، ففتحه ثم ذاقه ودفع النّحي في إحدى يديها، ثم فتح نحيّاً آخر ودفع فمه في يدها الأخرى. ثم كشف ذيلها وواقعها، وهي غير ممانعته لحفظ فم النّحيين، ولم تدفعه خوفاً على السمن حتى قضى حاجته، فلما قام عنها، قالت له: لا هناك الله، فرفع خوات عقيرته¹⁸⁸، وقال:

وَأُمّ عِيَالٍ وَاثْقِينَ بِكَسْبِهَا	خَلَجْتُ لَهَا جَارَ اسْتِهَا خَلَجَاتٍ
وَأَخْرَجْتَهُ رَيَّانَ يَقْطُرُ رَأْسَهُ	مِنَ الرَّامَكِ الْمَخْلُوطِ بِالْمُغْرَاتِ
شَفَلْتُ يَدَيْهَا إِذْ أَرَدْتُ خِلَاطُهَا	بِنَحْيَيْنِ مِنْ سَمْنِ ذَوِي عَجَوَاتٍ
فَكَانَ لَهَا الْوِيلَاتُ مِنْ تَرَكَ نَحْيِهَا	وَوَيْلٌ لَهَا مِنْ شِدَّةِ الطُّعْنَاتِ
فَشَدَّتْ عَلَى النُّحْيَيْنِ كَفّاً شَحِيحَةً	عَلَى سَمْنِهَا وَالْفَتَكُ مِنْ فَعَلَاتِي

فضربت العرب المثل فقالوا: أنكح وأغلم من خوات، وأشغل وأشخ من ذات النّحيين.

188- ثمار القلوب، الثعالبي، ص293، وفي الهامش رقم 2: ملاحظة للمحقق من إحدى نسخ ثمار القلوب: وهي امرأة تسمى هداية.

189 عادة مصّ البظر عند العرب

قال الهيثم بن عدي عن صالح بن حسان: جلست حُبَيّ ذات يوم بين فتيات قريش، قال: فشبهت حتى كادت أضلّاعها أن تتحطم. فقلن لها: يا أمه ما لك؟ قالت: قتلت نفساً.

قال: فتشاهقن جمع، ثم قلن: أي أمه! وكيف قتلت نفساً؟ قالت: خرجت يوماً من الحمام فجلست في المسلخ أتوضأ ومعني بني لابنة لي. ومعه جروله، فأتاني، فدخل تحتي، فلما رأى حمرة شفري وحري لطفه بلسانه لطفة فاستلذذته، فزاد فلم أزل أدنو منه، وأمكنه حتى أدركني ما يدرك بنات آدم¹⁹⁰ فخررت عليه فما رفعت عنه إلا وهو ميت، فقلن يا أمه، ما هذا عيب، ما هذه إلا مكرمة!

يبدو هذا الخبر مثيراً لمستهجناً للوهلة الأولى، لا سيما أن الفتيات لم يستهجنه بل اعتبرنه مكرمة، لكن عندما نعلم أن مصّ البظر كان عادة شائعة عند العرب، ثم تحول إلى ذم وشتيمة جرت على لسان العرب، هذا الرأي توصل إليه الدكتور صلاح الدين المنجد أحد أهم محققي التراث العربي، فهو يقول في كتابه «الحياة الجنسية عند العرب»: «كان مصّ البظر شائعاً. ويبدو أن بعض الأمهات كن يدفعن أولادهن إلى فعل ذلك بهن، ابتغاء اللذة، فالبظراء تجد لذة في ذلك». يضيف الدكتور المنجد: «وصار ذلك فيما بعد ذماً وشتماً، لذلك نجد من كان يُعير بمصّ البظر، فقليل يا ماصّ بظر أمه»¹⁹¹.

190- راجع أساس البلاغة للزمخشري «ب ظ ر»، راجع شرح «البظر» و«مَصِّصَتُهُ» في القاموس المحيط، راجع شرح «مصص» في لسان العرب.

191- الحياة الجنسية عند العرب من الجاهلية، ص 23.

تبدو عادة مص بظر الأم معروفة في الجاهلية. لأننا نجدها بكثرة في كلام العرب، حتى إنها دخلت عالم الأمثال كما لاحظنا، أكثر من ذلك نحت اللغويون العرب اختصارات للكلمة تدل عليها، يقول الزمخشري: ومن شتائم العرب: «علجة بظراء» و«أمصه الله بظر أمه». وعندما يقول أحدهم أن فلاناً «بظرم» فلاناً أو «بظرمه» فإن ذلك يعني أنه قال له: «أمصه الله بظر أمه» وهو مبظرم ومتبظرم. ويضيف الزمخشري في «أساس البلاغة» شرح (ب ظ ر) وفي المثل أيضاً: «يا ماصاً بظر أمه» أو «يا عاصاً بظر أمه».

يضيف الفيروز آبادي في القاموس المحيط: «يُمَصُّ وَيُبْظَرُ. أي: قال له: امْصُصْ بَظَرَ فُلَانَةٍ». ويضيف تقول العرب: «يَا مَصَّانُ، ولها: يَا مَصَّانَةُ: شَتَمَ. أي: يَا مَصَّ بَظَرَ أُمِّهِ». ويقال: «وتلي على ماصانٍ بن ماصانٍ وماصانَةٍ بن ماصانَةٍ».

واللافت أن العرب تقول للرجل: «يا مَصَّانُ. إذا كان يرضع الغنم من لُؤْمِهِ».

ربما كانت عادة جاهلية. تماماً كمص الثدي للإرضاع للتبني أو للمواخاة. وربما كان مص البظر إشارة رمزية للتبني كونه المكان الذي يخلق منه البشر.

وإن صَحَّ ما استنتجه الدكتور صلاح الدين المنجد من أن عادة «مص البظر» كانت عادة شائعة ثم تحولت إلى واحدة من «شتائم العرب» كما يقول الزمخشري، فذاك يتيح لنا أن نفترض أنها عادة ارتبطت بالربة اللات، وهي التي تجسد مفهوم الأم الكبرى عند العرب، ثم شتم بها «اممصص بظر اللات»، وهي شتيمة بالغ بها العرب بأن شتموا ربتهم بدل أمهم.

جاء في صحيح البخاري: قال عروة بن مسعود لما جاء مفاوضاً عن المشركين في «الحديبية» للنبي صلى الله عليه وسلم: «فإني والله لأرى وجوهاً، وإني لأرى أوشاباً من الناس خليقاً أن يَفَرُّوا وَيَدْعُوكَ».

فقال له أبو بكر: «امْصُصْ بَطَرَ اللَّاتِ، أَنَحْنُ نَفِرُّ عَنْهُ وَنَدْعُهُ؟»
فقال: من ذا؟ قالوا: أبو بكر¹⁹².

يعقب الحافظ ابن حجر العسقلاني في «فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري» على ما قاله أبو بكر (عضضت ببظر اللات): «البَطَر» - بفتح الموحدة. وسكون المعجمة: قطعة تبقى بعد الختان في فرج المرأة، و«اللات»: اسم أحد الأصنام التي كانت قريش وثقيف يعبدونها، وكانت عادة العرب الشتم بذلك، لكن بلفظ الأم، فأراد أبو بكر المبالغة في سب عروة بإقامة من كان يعبد مقام أمه، وحمله على ذلك ما أغضبه به من نسبة المسلمين إلى الفرار.

وربما كانت عادة مصّ البظر مقدسة لترسيخ أمومة المرأة تجاه من هم ليسوا من أبنائها. من هنا يمكن أن نفهم اعتبار حُبِّي لما فعلته بأنه «عيب» في حين رأت الفتيات فيه «مكرمة». لقد ذهب الطفل ضحية للفريزة البشرية، لكن هذا لن يؤثر على «أمومة حُبِّي» لأهل المدينة، ونتذكر أن الجاحظ قال: «إنه لم يكن في الدنيا أهل بيت إلا وكانت حُبِّي تأخذ صبيانهم، وتمصّهم ثديها، أو ثدي إحدى بناتها، فكان أهل المدينة يسمونها حواء».

هنا نجد مفهوم «أمومة» مقدسة ارتبطت بهذه المرأة، لدرجة أنها لقبت بـ «حواء أم البشر» من خلال فعل «مصّ الثدي»، ويمكن أن تكون عادة «مصّ البظر» سبقت فعل «مصّ الثدي» الذي يمارس اليوم لأمومة المرأة تجاه من تلدهم، ومن هنا يمكن أن نقدم قراءة لتأريخ عادة مصّ البظر التي شاعت في مرحلة ما على أنه طقس أمومي تحتوي فيه المرأة وتحتضن أبناء القوم على أنها «أم لهم جميعاً كحواء»، وهذا الطقس يتلخص في مصّ بظرها، وهو

192- جاء في صحيح البخاري: قال عروة بن مسعود لما جاء مفاوضاً عن المشركين في «الحديبية» للنبي صلى الله عليه وسلم: فإني والله لأرى وجوهاً، وإني لأرى أَوْشَاباً من الناس خليقاً أن يفروا ويدعوك، فقال له أبو بكر: امْصُصْ بَطَرَ اللَّاتِ، أَنَحْنُ نَفِرُّ عَنْهُ وَنَدْعُهُ؟ فقال: مَنْ ذا؟ قالوا: أبو بكر... (راجع المغازي للواقدي: 595/2).

المكان الذي يمثل بديلاً رمزياً عن فعل الولادة. لأنه المكان الذي يخلق منه الإنسان أساساً، ثم أصبحت عادة «مصّ الثدي» التي استمرت حتى يومنا هذا بديلاً عن هذه العادة القديمة، وبالمقابل أضحت عادة «مصّ البظر» فعلاً «مقززاً ومعيباً» وليس «مكرمة» وأصبحت جزءاً أساسياً من شتائم العرب.

نقرأ في «العقد الفريد» لابن عبد ربه:

«قال ثُمَامَةُ بن أَشْرَس: دخل أبو العتاهية على المأمون لما قَدِمَ العراق، فأمر له بمال، وجعل يُحادثه، فقال له يوماً: ما في الناس أجهل من القَدْرِية، فقال له المأمون: أنت بصناعتك أبصر، فلا تَتَخَطَّها إلى غيرها؟ قال له: يا أمير المؤمنين، اجمع بيني وبين من شئت منهم. فأرسل إليّ، فدخلت عليه، فقال لي: هذا يزعم أنك وأصحابك لا حُجَّةَ عندكم. قلت: فليسأل عما بدا له. فحرَّك أبو العتاهية يده وقال: مَنْ حَرَّكَ هذه؟ قلتُ: مَنْ ناك أمه؟ فقال: يا أمير المؤمنين، شتَمَني؛ قلت له: نَقَضْتَ أصلَكَ يا ماصِّ بَظَرِ أمه؛ فَضَحَكَ المأمونُ؛ فقلت له: يا جاهل، تحرك يدك، ثم تقول: مَنْ حَرَّكها؟ «فإن كان الله حَرَّكها» فلم أَشتُمك، وإن كنت أنت المُحرِّك لها، فهو قولي؛ قال له المأمون: عندك زيادةٌ في المسألة؟»¹⁹³.

193- العقد الفريد: 221/2.

حُبِّي فِي أَمْثَالِ الْعَرَبِ

اشتهرت حُبَيّ في عالم الأمثال بـ «الشيق» وضربت بها العرب المثل في ذلك: «أشبق من حُبَيّ»،¹⁹⁴، وتناقلت كتب الأمثال الرواية ذاتها تقريباً عن سبب هذا المثل، كذلك فعل الميداني، والزمخشري، وأبو هلال العسكري وغيرهم، تقول الرواية: وهي - أي حُبَيّ - امرأة مدنية كانت مزواجاً، فتزوجت على كبر سنّها، فتى يقال له ابن أمّ كلاب، فقام ابنٌ لها كهل فمشى إلى مروان ابن الحكم وهو والي المدينة وقال: إن أمي السفهية على كبر سنّها، وسني، تزوجت شاباً مقتبل السن، فصيرتني ونفسي حديثاً، فاستحضرها مروان وابنها، فلم تكثر لقوله ولكنها التفتت إلى ابنها، وقالت: يا برذعة الحمار، والله ليصرعن أمك بين الباب والطاق، فليشفين غليلها ولتخرجن نفسها دونه، ولوددت أنه ضب وأني ضبيبة، وقد وجدنا خلا، فانتشر هذا الكلام عنها، فضربت بها الأمثال.

فمن ضرب في الشعر المثل بها هدة بن الخشرم العذري قال:

فما وجدت وجدي بها أمّ واحد ولا وجدَ حُبَيّ بابن أمّ كلاب
رأته طويل الساعدين عنطناً كما انبعثت من قُوّة وشبابٍ

وكانت نساء المدينة تسمين حُبَيّ «حواء أم البشر» لأنها علمتهن ضروراً من هيئات الجماع، ولقبت كل هيئة منها بلقب منها: القبع والغرلة والتخير والرهز، فذكر الهيثم ابن عدي، أنها زوّجت بنتاً لها من رجل ثم زارتها، وقالت: كيف ترين زوجك؟

قالت: خير زوج أحسن الناس خلقاً وخلقاً وأوسعهم رحلاً وصدرأ، يملأ بيتي

194- أمثال الميداني: 387/1، المستقصى من أمثال العرب: 185/1-186-187، جمهرة الأمثال: 461/1، نهاية الأرب للنويري: 139/2، نثر الدر، التذكرة الحمدونية: 22/7.

خيراً وحري أيراً، إلا أنه يكلفني أمراً صعباً قد ضقت به ذرعاً.

قالت: وما هو؟

قالت: يقول عند نزول شهوته وشهوتي: انخري تحتي! (وفي رواية الزمخشري: غير أنه يكلفني النخير عند الجماع).

فقالت حُبِّي: وهل يطيب نيك بغير رهز ونخير؟ جاريتي حرة إن لم يكن أبوك قدم من سفر، وأنا على سطح مشرفة على مريد إبل الصدقة، وكل بعير هناك قد عقل بمقالين، فصرعني أبوك، ورفع رجلي وطعنني طعنة، نخرت لها نخرة نفرت منها إبل الصدقة نفرة، فقطعت عقلها وتفرقت، فما أخذ منها بعيران في طريق، فصار ذلك أول شيء نقم على عثمان، وما له في ذلك ذنب. الزوج طعن، والزوجة نخرت، والإبل نفرت، فما ذنبه؟

وفي فرائد اللالئ في مجمع الأمثال¹⁹⁵:

وَزَيْدُنَا أَشْبَقُ مِنْ حُبِّي وَمِنْ جُمَالَةٍ وَأَمْرُهُ قَبْلًا فَطِنَ

فيه مثلاً، الأول: أشبق من حُبِّي، والثاني: أشبق من جُمالة، وهو رجل من بني قيس بن ثعلبة كان كثير الشبق... دخل على ناقة له في العطن باركة تجتر، فجعل ينيكها، فقامت الناقة وتشبث ذيله بمؤخر كورها، فأنت به كذلك وسط الحي والقوم جلوس. فجرت فيه هذه الأمثال، فقالوا: أشبق من جمالة، وأخزى من جمالة، وأفضح من جمالة، وأرفع مناكاً من جمالة.

195- فرائد اللالئ في مجمع الأمثال: 327/1.

مراجع البحث:

- 1- أخبار المدينة، محمد بن الحسن ابن زباله (199 هـ)، جمع وتوثيق ودراسة: صلاح عبد العزيز زين سلامة، الطبعة الأولى 2003، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة - السعودية.
- 2 أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تصنيف الإمام أبي عبد الله محمد بن إسحق، ابن العباس الفاكهي المكي من علماء القرن الثالث الهجري، دراسة وتحقيق: د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، دار الخضر - بيروت، الطبعة الثانية 1994.
- 3- أساس البلاغة، تأليف: أبي القاسم جابر الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري (المتوفى 538 هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 1998.
- 4- أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، محمد رضا كحالة، مؤسسة الرسالة - بيروت.
- 5- الإصابة في تمييز الصحابة، لشيخ الإسلام وعلم الأعلام قاضي القضاة شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي الكناني العسقلاني المصري الشافعي المعروف بابن حجر (ت 852 للهجرة)، دار الكتب العلمية - بيروت.
- 6- الأغاني، للإمام أبي الفرج الأصبهاني، بتصحيح الشيخ أحمد الشنقيطي، مطبعة بولاق - القاهرة، الطبعة الأولى 1285 هـ.
- 7- أمالي يموت ابن المزرع - ملف وورد، التحميل من مكتبة الوراق.

- 8- أنساب الأشراف، صنّفه الإمام أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت 279 هـ)، دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى 1996.
- 9- الأنساب، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني، تقديم وتعليق: عبد الله عمر البارودي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- 10- البصائر والذخائر، لأبي حيان التوحيد علي بن محمد بن العباس (... - 414 هـ)، تحقيق: الدكتور وداد القاضي، دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى 1988.
- 11- بيوت الصحابة حول المسجد النبوي الشريف، تأليف: محمد إلياس عبد الغني، طبع على نفقة المؤلف - المدينة المنورة. الطبعة الرابعة 1999.
- 12- بلاغات النساء، الإمام أبي الفضل أحمد بن طاهر الطيفور (المولود ببغداد سنة 204)، صححه وشرحه: أحمد الألفي، مطبعة ومدرسة والده عباس الأول - القاهرة 1908.
- 13- تاريخ الخلفاء، تأليف: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، دار ابن حزم - بيروت، الطبعة الأولى 2003 م.
- 14- تاريخ الرسل والملوك، للإمام الفقيه المفسر المؤرخ أبو جعفر بن جرير الطبري (224 - 310 هـ) بيت الأفكار الدولية - السعودية.
- 15- تاريخ المدينة، ابن شَبّه أبو زيد عمر بن شَبّه النميري البصري (173 - 262 هـ)، تحقيق: فهد محمد شلتوت.
- 16- تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي الكناني العسقلاني (773-852 هـ)، المحقق: محمد علي النجار - علي محمد البجاوي، المكتبة العلمية.
- 17- التذكرة الحمدونية، تصنيف: ابن حمدون، محمد بن الحسن بن محمد بن علي، تحقيق: إحسان عباس وبكر عباس، دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى 1996.

- 18- تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق، داود بن عمر البصير الأنطاكي 1008 هـ. طبعة بولاق 1921.
- 19- جوامع اللذة، علي الكاتبي القزويني، دار تالة، الجماهيرية العظمى.
- 20- تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة، لحافظ العصر شيخ الإسلام أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني الشافعي (773 هـ - 852 هـ)، تحقيق: د. إكرام الله إمداد الحق، دار البشائر الإسلامية - بيروت، الطبعة الأولى 1996.
- 21- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للحافظ المتقن جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي (654 - 742 هـ)، حققه: الدكتور بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى 1988.
- 22- الثقات، للإمام الحافظ أبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي (المتوفى 354 هـ)، طبع بمساعدة وزارة المعارف العثمانية بحيدر آباد، الطبعة الأولى 1978.
- 23- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي النيسابوري (350 - 429 هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، سلسلة ذخائر العرب 57، دار المعارف - القاهرة.
- 24- الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تأليف: أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت 671 هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 2006.
- 25- جمهرة الأمثال، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، ضبطه وكتب هوامشه ونسقه: الدكتور أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى 1988.
- 26- الجواري والقيان، الدكتور سليمان حريثاني، دار الحصاد - سورية، الطبعة الأولى 1997.

- 27- حواشي مختصر مفاني الأخبار، للشيخ بدر الدين العيني (ت 855 هـ)، اختصره الشيخ تراب رشد الله شاه السندي، طبعة دار الإضاءة - الهند.
- 28- الحياة الجنسية عند العرب من الجاهلية إلى أواخر القرن الرابع الهجري، صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد - بيروت، الطبعة الثانية موسعة 1975.
- 29- الحيوان، أبي عثمان بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، الطبعة الثانية 1965.
- 30- رسائل الجاحظ، أبو عثمان بن عمر بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، الناشر: مكتبة الخانجي - القاهرة 1964.
- 31- الخصائص الكبرى للسيوطي، عنوان الكتاب الأصلي: كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب، للإمام جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية.
- 32- ديوان هدية بن الخشرم، تحقيق: يحيى الجبوري، دار القلم - الكويت، الطبعة الثانية 1986.
- 33- ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (467 - 538 هـ)، تحقيق: عبد الأمير مهنا، مؤسسة الأعلمي للطبوعات، الطبعة الأولى 1992.
- 34- زهر الأكم في الأمثال والحكم، للحسن اليوسي، حققه: الدكتور محمدي والدكتور محمد الأخضر، معهد الأبحاث والدراسات للتغريب - المغرب، الطبعة الأولى 1981.
- 35- سير أعلام النبلاء، الإمام شمس الدين محمد بن عثمان الذهبي (المتوفى 748 هـ)، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة 11 - 1996.
- 36- الطبقات الكبرى، لمحمد بن سعد بن منيع الزهري 230 هـ، تحقيق: الدكتور علي محمد عمير، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة.

- 37- العقد الفريد، تأليف: الفقيه أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، تحقيق: الدكتور مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى 1983.
- 38- عيون الأخبار، تأليف: أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المتوفى 276 هـ، دار الكتب المصرية 1996.
- 39- فرائد اللالئ في مجمع الأمثال، لوحيده دهره وفريد عصره العلامة الفضل السيد الشيخ إبراهيم ابن السيد علي الأديب الطرابلسي الحنفي نزلي بيروت تغمده الله بالرحمة والرضوان، طبع في المطبعة الكاثوليكية سنة 1312 هـ.
- 40- فن النكاح في تراث شيخ الإسلام جلال الدين السيوطي، جمع وتحقيق وتبويب: جورج كدر، دار أطلس - بيروت 2011.
- 41- الفهرست، ابن النديم، تحقيق: رضا تجدد، طهران 1971.
- 42- القيان، أبو الفرج الأصبهاني، تحقيق: جليل العطية، دار رياض الريس.
- 43- الكامل، تأليف: أبي العباس محمد بن يزيد المبرّد، حققه: الدكتور محمد أحمد الدالي، طبعة مؤسسة الرسالة.
- 44- الكامل في التاريخ لابن الأثير، تاريخ ابن الأثير الإمام العلامة المحدث النسابة عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الجزري الشيباني الشهير بابن الإثير (555 - 630 هـ) اعتنى به أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية.
- 45- الكشكول، لخاتمة الأدباء وكعبة الظرفاء الشيخ محمد بهاء الدين العاملي، منشورات مكتبة دار البيان - مؤسسة الزين - بيروت.
- 46- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، للعلامة علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي، مؤسسة الرسالة - الطبعة الخامسة 1985.
- 47- المجالسة وجواهر العلم، أبو بكر أحمد بن مروان بن محمد الدينوري

- القاضي المالكي (ت 333 هـ)، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن حزم - الطبعة الأولى 1998.
- 48- مجمع الأمثال، لأبي الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري الميداني، المتوفى سنة 518 هـ، تحقيق: محمد يحيى الدين عبد الحميد، مطبعة السنة المحمدية سنة 1955.
- 49- مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، للإمام محمد بن مكرم المعروف بابن منظور (ت 630 هـ)، تحقيق: روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع الحافظ، دار الفكر - دمشق، الطبعة الأولى 1984.
- 50- مختصر نور القبس المختصر من المقتبس في أخبار النحاة والأدباء والشعراء والعلماء، تأليف: أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني، اختصار: أبي المحاسن يوسف بن أحمد بن محمود الحافظ اليفغوري، عني بتحقيقه: ردولف زلهاييم، دار فرانكس شتاينر بفسبادن 1964.
- 51- المحاسن والأضداد، أبو عثمان بن بحر الجاحظ البصري (توفي 255 هـ)، دار مكتبة عرفان.
- 52- المحبّر، للعلامة الأخبار النسابية أبي جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي (توفي 245 هـ)، رواية أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري، تحقيق: الدكتورة إيلزه ليختن شتير، طبعة دار الآفاق الجديدة.
- 53- المرصع لابن الأثير، بتحقيق المستعرب س.ف.ب سيبولد، الصادر في عام 1896 م.
- 54- المستطرف من كل فن مستظرف، لشهاب الدين الأبشيهي، طبعة دار الطباعة السنوية 1285 هـ.
- 55- المستقصى من أمثال العرب، العلامة الأديب أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري المتوفى 538 للهجرة، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيد آباد - الهند 1962.

- 56- المعارف لأبي قتيبة الدينوري، تحقيق: الدكتور ثروت عكاشة، ونشرته للمرة الثانية دار المعارف، سلسلة ذخائر العرب.
- 57- معجم البلدان، للشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادى، دار صادر - بيروت 1977.
- 58- معجم قبائل العرب، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثامنة 1997.
- 59- المغازي، محمد بن عمر بن واقد المتوفى 207 هـ، تحقيق: مارسدن جونس، عالم الكتب، الطبعة الثالثة 1984.
- 60- مغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار، لأبي محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي - بدر الدين العيني 762 هـ - 855 هـ، تحقيق: أبو عبد الله محمد حسن، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 2006.
- 61- مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، تأليف: أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي، دار ابن خلدون.
- 62- المنمق، أبي جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادى توفي 245 هـ، تحقيق: خورشيد أحمد فاروق، طبعة عالم الكتب - بيروت، الطبعة الأولى 1985.
- 63- نثر الدر، للوزير الكاتب أبي سعد منصور بن الحسين الآبي المتوفى 421 للهجرة. (نتائج البحث في الكتاب من موقع المكتبة الشاملة).
- 64- نزهة الألباب فيما لا يوجد في كتاب، شهاب الدين أحمد التيفاشي 651 هـ، تحقيق: جمال جمعة، رياض الريس للكتب والنشر، الطبعة الأولى 1992.
- 65- نسب قريش، لأبي عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب الزبيرى، 156 - 236 للهجرة، عني بنشره لأول مرة وتصحيحه والتعليق عليه: إ. ليفي بروفتسال، دار المعارف، سلسلة ذخائر العرب.

66- نسب قحطان وعدنان لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، أحياء عبد العزيز الميمني الراجكوتي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة - الهند 1936.

67- نهاية الأرب في فنون الأدب، تأليف: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت 732)، مجموعة محققين، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 2004.

68- النوادر، العلامة الطبيب داود الأنطاكي. المكتبة الثقافية، طبعة أولى 2002.

69- وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، لنور الدين علي بن عبد الله السمهودي (المتوفى 911 هـ)، حققه: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

70- ياقوت الحموي، معجم الأدباء، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة الأولى 1993.

71- يعقوب ابن معين وكتابه التاريخ، دراسة وترتيب وتحقيق: الدكتور أحمد محمد نور سيف.

المواقع الالكترونية:

72- مكتبة الوراق:

73- البحث على موقع المكتبة الشاملة:

74- البحث على موقع الباحث العربي ، وفيه

خمس معاجم عربية: لسان العرب، الصحاح في اللغة للجوهري، القاموس المحيط للفيروز آبادي، العباب الزاخر لصاحبه الحسن بن محمد الصفاني، مقاييس اللغة مؤلفه أحمد ابن فارس.

الفهرس

- 7 _____ مقدمة
- 11 _____ شغلي على حُبِّي
- 13 _____ سَقِيفَة حُبِّي
- 21 _____ في أصل الحب ومن تَسَمَّيْنَ حُبِّي
- 27 _____ عصر حُبِّي
- 35 _____ معلمة حُبِّي
- 43 _____ دار حُبِّي
- 48 _____ هل حُبِّي هي مرضعة عمر بن الخطاب؟
- 49 _____ أين تقع الحرّة التي قتل فيها هذبة؟
- 55 _____ زوج حُبِّي
- 62 _____ دار أم كلاب وأسطورة أحجار الزيت وإهراق الخمر
- 66 _____ حُبِّي الحكيمة
- 69 _____ رسولات الحب
- 72 _____ عزّة الميلاء
- 76 _____ عائشة بنت طلحة: ما كنت لأستر جمالاً وسَمَنِي به الله
- 81 _____ عجائب الرهز وقتون الشخير

83	من أخبار حُبَيّ
85	حُبَيّ يوم مقتل الشاعر هذبة بن الخشرم
87	حُبَيّ والخليفة عبد الملك بن مروان
89	تعاليم حُبَيّ
91	في الجماع
91	نصائح حُبَيّ لابنتها وزوجها
95	كيف يأخذ الزوج الزوجة؟
95	في الرمز والغنج والنخير (نصائح حُبَيّ في خلوة الحب)
96	خبر جمال الخليفة عثمان التي تشتت بنخرة حُبَيّ
97	أي الرجال أحب إلى النساء؟
99	نوادير وطرائف حُبَيّ
101	مهراس حُبَيّ المشفول
101	حُبَيّ وأشعب
101	حُبَيّ لا تبالي شيطاناً التقت أم رجلاً
102	تمنّت أن يكون لها حِران ولزوجها أيران
103	حُبَيّ تتأر لذات النحيين
105	عادة مص البظر عند العرب
111	حُبَيّ في أمثال العرب
115	مراجع البحث



مكتبة الجنس في حياة العرب

سقيفة حبي

هذه المكتبة

تهدف هذه المكتبة إلى إضاءة تراث سعى الكثيرون إلى تقييبه وحجبه عن الناس بحجة «صون» المجتمع من أفكار قد تؤدي إلى إثارة غرائز الشباب؛ مع العلم أن الذين كتبوا أغلب كتب التراث الجنسي بعض من كبار الفقهاء والعلماء والأدباء والأطباء.

ما يُطلق عليه «التراث الجنسي» كان حقلاً من حقول العلم والمعرفة على مدى الألف الهجري الأول فكان «علم الباه» مختصاً بالمعارف الجنسية وما يمت إليها، وكان يُنظر إلى الممارسة الجنسية على أنها فنٌ عُرف بـ «فن النكاح» وكان يتم تثقيف النساء بكل ما يمت إلى الجنس من علوم وفن وآداب، من الصحة إلى الجذب والغزل والفنج والدلال والممارسة الجنسية وأوضاعها وأوقاتها والنافع والضار فيها، ناهيك عن طرق الاهتمام بالجسد والجمال والزينة واللباس.

هذا الكتاب

قالوا: إنّ أشراف المدينة كانوا يجتمعون في سقيفة حبي يسألونها وهي تجيب، وقالوا: إنّ فتيان قریش وفتياتها كانوا يجلسون إليها فيتحدثون عندها بكل صراحة وشفافية عن أحوال الرجال والنساء وفنون النكاح، وكانت هي تجيبهم دون حرج... وكانت نساء المدينة تسمين حبي «حواء أم البشر» لأنها علمتهن ضرورياً من هيئات الجماع، ولقبت كل هيئة منها بلقب، منها: القبع والغريلة والنخير والرهز.

عن (الجاحظ، النيسابوري، الزمخشري، أبو هلال العسكري)